حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة
مجلة علمية محكمة

من مطاعن
مجلة الملحدين العرب الرقمية حول الدين
عرض ونقد

تأليف

أ. د/ فؤاد وهبة عبد الرحيم عزام

أستاذ مساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق - جامعة الأزهر

ملخص البحث باللغة العربية

من مطاعن مجلة الملحدين العرب الرقمية حول الدين عرض ونقد

فؤاد وهبة عبد الرحيم عزام

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: Dr.FouadWahba.team@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

أتاحت وسائل النشر الشبكي الذيوع لكثير من الأفكار الهدامة، وقد استفاد الإلحاد من ذلك بوسائل شتى، ومنها النشر الرقمي، ويركز هذا البحث على نقد المطاعن التي أذاعها الملحدون في (مجلة الملحدين العرب) الرقمية حول (الدين) بوجه عام والإسلام خصوصا، وسيجد القارئ بعد المقدمة والتمهيد أربعة مباحث، في الأول منها تفنيد لدعوى خطورة الدين على بناء الشخصية الإنسانية، أما المبحث الثاني فيحتوى على عرض ونقد لما أسماه الكاتب مبررات استمرار تقديس الدين، وفي المبحث الثالث تفنيد لدعوى لا عقلانية الدين لقيامه على التلقين والوراثة فقط، أما المبحث الأخير فردٌّ على أسباب إنكار الدين من وجهة نظر الملحدين، وفي الخاتمة نتائج البحث ومن أبرزها: أنه ليس أخطر على بناء الشخصية الإنسانية من الإلحاد وليس أصلح لها من الإيمان، وأن الإلحاد لم يستطع حتى الآن أن يثبت صحة مقولاته منطقيا بخلاف الدين، وأن ما يأخذه الملحدون على الدين يوجد نظيره في العلم التجريبي وفي الأسس الوضعية للمجتمع مثل الاعتماد المبدئي على الحدس والإيمان بصحة الفكرة ومثل حتمية الإيمان بالنظام الاجتماعي وإعلان الولاء والخضوع له، وان مشكلة الملحد مع الدين هي مشكلة نفسية وليست علمية، وفي الخاتمة أيضا توصيات للباحث من أهمها تكاتف الباحثين المسلمين لإنشاء مجلة مضادة توضح حقائق الدين بأسلوب يوافق الواقع الثقافي خاصة عند

الشباب وتهاجم الإلحاد وتظهر تهافته، والتوصية بوضع خطة لبرنامج دعوي تتبناه المؤسسات الدعوية في العالم العربي لتثبيت حقائق الإيمان وتحصين العقول من غزو الإلحاد.

الكلمات المفتاحية: مطاعن، مجلة، الملحدين العرب، الدين.

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Some of calumnies of the digital Arab Atheists Magazine on Religion, Presentation and Criticism.

Fouad Wahba Abdel Raheem Azzam
Assistant Professor, Department of Da'wah and Islamic Culture
Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Zagazig - Al-Azhar University, Egypt.
Email: Dr.FouadWahba.team@azhar.edu.eg

Dissertation Summary:

The means of network publishing made spreading for many destructive ideas, and atheism benefited from that in various ways, including digital publishing. This dissertation focuses on criticizing the calumnies broadcast by atheists in the digital (**Arab Atheists Magazine**) about (***religion***) in general and ***Islam*** in particular. The reader will find, after the introduction and the preface, four sections. The first section is about a refutation of the claim that religion is dangerous for building the human personality .The second section contains a presentation and criticism of what the writer called the justifications for the continued sanctification of religion. The third section is about a refutation of the claim that religion is not rational because it is based on indoctrination and inheritance only. The last section is about a response to the reasons for denying religion from the point of view of atheists. The conclusion is about the results of the dissertation.

The most prominent of the results of the dissertation are that atheism is the most dangerous thing in building the human personality and faith is the only solution for it. Atheism has not yet been able to prove the validity of its statements logically other than religion. And that what atheists take on Religion has its counterpart in experimental science and in the positive foundations of society, such as the initial reliance on intuition and belief in the validity of the idea, and such as the inevitability of belief in the social system and the declaration of loyalty and submission to it. In addition, that the problem of the atheist with religion is a psychological problem, not a scientific one. In the conclusion, there are also

recommendations for the researcher, the most important of which is the solidarity of Muslim researchers to create a counter-magazine that clarifies the realities of religion in a manner that agrees with the cultural reality, especially among young people. In addition, attacks atheism and shows its frivolity, and recommends drawing up a plan for an advocacy program adopted by advocacy institutions in the Arab world to establish the realities of faith and immunize minds from the invasion of atheism.

Keywords: calumnies, magazine, Arab atheists, religion.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد (ﷺ)، أما بعد...

فقد كان الدين ولا يزال هدفا للملحدين الذين نبذوا الأديان ثم آمنوا بإلحادهم، وغرهم كفرهم فاتخذوا آيات الله هزوا، وتفرقوا في السُّبل يصدون الناس عن سبيل الله ويبغونها عوجا، ومن أخطر السبل التي قعدوا يترصَّدون المؤمنين عندها، شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) نظرا لانتشارها الواسع في العالم، وسهولة استخدامها، ونظرا لما بها من وسائل الجذب لا سيما لفئة الشباب الذين هم سواعد الأمة، ومعاقد الآمال فيها.

ومواقع الدعوة إلى الإلحاد على شبكة المعلومات كثيرة، وتتخذ وسائل عديدة مرئية، ومقروءة، ومنها موقع أنشأوه لمهاجمة الدين بما هو عقيدة تربط الإنسان بخالقه عن طريق الوحي الإلهي، ومن بين أبوابه باب مخصص لنشر ما أسموه بـ(مجلة الملحدين العرب)، وتصدر هذه المجلة شهريا، وقد صدر منها حتى تاريخ نشر هذا البحث سبعة ومئة عدد.

تستهدف هذه المجلة الشباب العربي وتخاطبه بلغته، وهي تشن حربا غير شريفة على الدين عقيدة وشريعة، وأخلاقا، ورموزا، وتاريخا، معتمدة على التزييف، ومتكئة اتكاء زنيما على العلم التجريبي المادي من جهة، وعلى أغاليط المنطق من الأخرى، ثم هي تعتمد على بهرجة الإخراج، وزخرفة الشكل مستفيدة من التقنيات الحاسوبية الحديثة لتخادع قراءها العرب بهذا الزيف.

وقد هالني ما طالعت في أعدادها من مطاعن يصعب استيعابها ونقضها في بحث واحد؛ إذ تحتاج إلى سلسلة من المنشورات التي يتكاتف في إنجازها عدد من الباحثين، لذا اكتفيت في هذا المقام بالرد على قضية عامة من القضايا الشائعة في هذه المجلة الإلكترونية، وهذه القضية هي مطاعن كتَبةِ هذه المجلة حول (الدين)، والغرض من هذه الردود هو تسليط الضوء على هذه المجلة من حيث وجودها وخطرها على الإيمان، والإنسان، والأوطان؛ لعلها تكون بداية كافية لاستكمال الجهود في هذا السبيل. والله من وراء القصد.

تمهيد

أولاً: تحرير مفردات العنوان

أ- مطاعن:

جمع تكسير، مفرده مَطْعَن، وهو اسم مكان من الثلاثي طَعَنَ يدل على موضع الطعن و"الطَّاء، والعين، والنون أصل صحيح مُطَّرِد، وهو النَّخْسُ في الشيء بما يُنْفِذُه، ثم يُحمَل عليه ويستعار مجازا، كما يقال: رجل طعَّان في أعراض الناس، فكأنه تكلم فيها بما يجرح وينفُذ من القول.

ويستعمل اللفظ على حقيقته مثل: الطعن بالرمح، ويقال: تطاعن القوم واطَّعنوا، وهم مطاعين في الحرب"[(١)]. ومجازا يتوجَّه هذا المعنى هنا إلى المحاولات التي قام بها كتبة مجلة الملحدين العرب للطعن في الدين عامة والإسلام خاصة، فهي كما أراها ليست أمورا اشتبهت عليهم ففهموها خطأ، ولكنها طعن مقصود موجه لمحو الدين والتنفير منه والدعوة الصريحة إلى الإيمان بالإلحاد.

ب - مَجَلَّة:

أطلق لفظ المجلة عند العرب على الصحيفة، وكلُّ كتاب عند العرب فهو مجلَّة، واستعير لها هذا اللفظ من جَلَّ الشيء إذا عظُم للدلالة على جلالة العلم وخطره[(٢)] والمَجَلَّةُ "تقال في عصرنا هذا لكل صحيفة عامة أو متخصصة في فنٍّ من الفنون، تظهر في أوقات معينة "[(٣)] والمراد بها هنا هذه الصحيفة الدَّوريَّة التي تصدر عبر موقع (قناة الملحدين بالعربي) ورابطه: https: //cutt.us/UgAeN ويحتوي هذا الموقع على برامج، ومقالات، وأفلام وثائقية ومكتبة،

---

(١) يراجع: معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ت ٣٩٥هـ - باب الطاء والعين وما يثلثهما- دار الفكر- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م- تحقيق: عبد السلام محمد هارون- (ج٣ ص٤١٢) .

(٢) يراجع السابق - كتاب الجيم - (ج١ ص٤١٧) .

(٣) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية بالقاهرة- ١٤١٦هـ ١٩٩٥م- مادة: جَلَّ - (ص: ١١٣) .

ومجلة اسمها (مجلة الملحدين العرب) ورابطها على الموقع: https: //cutt.us/vlZA٨.

ج-: الملحدون: مفرد ملحد وهو اسم فاعل من الفعل ألحَدَ ومعناه "الميل عن الاستقامة، يقال ألحد الرجل إذا مال عن طريقة الحق والإيمان"[١] والإلحاد" مذهب من ينكرون الألوهية، والملحد غير مؤلِّه"[٢] فهو "من لا يؤمن بالله"[٣] تعالى. وهؤلاء الذين يحررون هذه المجلة ملحدون منكرون لوجود الله تعالى وهذا واضح من وصفهم لأنفسهم في عنوان مجلتهم (مجلة الملحدين العرب) .

د- الرَّقْميَّة:

منسوبة إلى رَقْم، وهو في اللغة: العلامة، وفي علم الحساب: الرمز المستعمل للتعبير عن أحد الأعداد البسيطة من الصفر حتى التسعة [٤].

ويقصد به هنا اللُّغةُ التي تُعدُّ خصِّيصًا طبقًا لقواعد معيَّنة لتستخدم في الحاسبات الإلكترونية كوسيلة للعمل بها [٥].

والرَّقمنة تعنى " التحويل إلى صياغة رقميَّة والمصطلح باللغة الإنجليزية: **Digitization** وهي عملية تبديل الحروف والأرقام إلى الإشارات التماثليَّة التي يفهمها الحاسب الإلكتروني، وتمثيل الصور والملفات غير الرقمية مسبقا (بعد إدخالها في نظام رقمي) باستخدام مجموعة

---

(١) يراجع: معجم مقاييس اللغة – باب اللام والحاء وما يثلثهما- (ج٥ص ٢٣٦) .

(٢) المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م – (ص: ٢٠) .

(٣) المعجم الفلسفي ص ١٩٢- سابق- ويراجع: المعجم الفلسفي – جميل صليبا –الشركة العالمية للكتاب – بيروت-١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م- ج١ ص١٢٠.

(٤) المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ١٤١٦هـ ١٩٩٥م – مادة: رَقَمَ- (ص: ٢٧٤) .

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة – د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون- نشر: عالم الكتب- الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م- (ج٢ ص ٩٣٠) .

متقطعة مكوَّنة من نقاطٍ منفصلة حين معالجتها"[١] وبصفة عامة فإن الرقمنة تعني "التحول في الأساليب التقليديَّة المعهود بها إلى نظم الحفظ الإلكترونية"[٢].

والمقصود هنا هو بيان النوع الذي تنتمي هذه المجلة إليه في عالم نشر المعلومات فهي ليست تقليدية ورقية تصدر بشكل دوري عن جهةٍ ما، ولكن القائمين عليها أنشأوها من النوع الرقْميِّ الذي تتحوَّل فيه المعلومات إلى صِيَغ رقميَّة تتيح نشرها على شبكة المعلومات الدولية ويستقبلها المتلقي بما عنده من مستقبِلات لأعدت لقراءة هذا النوع من الكتابة كأجهزة الحاسب الآلي أو الهواتف الذكية، حيث يتاح تحميل أعداد هذه المجلة وقراءة صفحاتها بصيغة pdf بجودة عالية أو جودة أقل وخيار الجودة هذا متاح على الموقع تسهيلا لكل من يريد الحصول على أعدادها، والاحتفاظ بها

هـ -عرض ونقد:

العرْض خلاف الطول، والجمع أعراض، وعرَضَ الشيءَ عليه يعرِضُه عرضا: أراه إيَّاه، وعرض له أمر كذا أي: ظهر، وعرضتُ له الشيء أي: أظهرتُه له، وأبرزته إليه[٣].

والمراد هنا إبراز بعض المطاعن التي تحتوي عليها مجلة الملحدين العرب إبرازا علميا تتضح منه الأفكار والمعاني التي تتضمنها.

والنقد: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، وذلك يعنى الكشف عن الدرهم في حال جودته

---

(١) مفاهيم الرقمنة ودورها في تعظيم الأداء المؤسسي لمنظمات القرن ٢١- بتصرف يسير- د. أحمد مصطفى ناصف- نشر جمعية إدارة الأعمال العربية- العدد ١٧٥ - ص ٢٢.

(٢) مفاهيم الرقمنة - مرجع سابق- ص ٢٢.

(٣) لسان العرب - ابن منظور - ط دار صادر- بيروت - الطبعة الثالثة- ١٤١٤هـ - باب الضاد فصل العين (ج٧ ص ١٦٥ -١٦٨) .

أو غير ذلك[١] .

وتستعمل هذه الكلمة " بمعنى أوسع وهو تقويم الشيء والحكم عليه بالحسن أو القبح"[٢] وبناء على هذا المعنى سوف تستعار هذه اللفظة في هذا البحث للحكم على ما تتضمنه هذه المجلة.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

اخترتُ هذا الموضوع لأسباب منها:

١. المساهمة في تحقيق أهداف الخطة البحثية الخمسية لجامعة الأزهر (٢٠١٩- ٢٠٢٤م) (١٤٤٠-١٤٤٥هـ) حيث كان الردُّ على الشبهات المثارة حول الإسلام هو المحورَ الثاني للخطة، وكانت مواجهةُ الفكر الإلحادي مؤشرا هاما من مؤشرات هذا المحور وقد انتدبت الخطة لتحقيقه كليةَ الدعوة الإسلامية، وأقسامَ العقيدة والفلسفة، وأقسام الدعوةِ والثقافة الإسلامية بكليات أصول الدين.

٢. القيام بواجبي كباحث مسلم في الدفاع عن الإسلام ومواجهة ما يثار حوله من مطاعن وشبهات.

٣. الرغبة في مشاركة من سبق من الكتاب والباحثين في مواجهة الإلحاد خاصة بعد أن استغل شبكة المعلومات في الإعلان عن نفسه، والوصول إلى المدعوين عبر الوسائط الإلكترونية المتنوعة.

ثالثًا: أهمية الموضوع:

١. مشاركته في التصدي لظاهرة الإلحاد في وسيلة من أهم الوسائل التي يعتمد عليها في الترويج لنفسه وفي مهاجمة الدين وتشويهه والتنفير منه، وهي وسيلة النشر الإلكتروني.

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة - ابن فارس- باب النون والقاف وما يثلثهما - (ج٥ ص: ٤٦٧) .

(٢) النقد الأدبي- د. أحمد أمين- مؤسسة هنداوي- ٢٠١٢م- (ص: ١٣) .

٢. مساهمته في تحصين العقل المسلم مما يحوم حوله من مطاعن ويستهدفه من تيارات معادية للدين.

٣. تفنيد مطاعن كتاب مجلة الملحدين العرب حول (الدين) وبيان منزلتها من المنهج العلمي، وإظهار الحقائق التي حاول كتبةُ هذه المجلة طمسها، وتشويهها.

٤. دعمه للهويَّة الإسلامية وصيانتُها بالدفاع عنها، ورد المطاعن الموجَّهة إليها.

رابعًا: الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تناولت الإلحاد بالنقد، فمنها ما جاء في صورة كتب مؤلفة منشورة، مثل: (في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم) للدكتور يحيى هاشم حسن فرغل، و (حوار مع صديقي الملحد) للدكتور مصطفى محمود و (لماذا هو ملحد؟) للأستاذ محمد فريد وجدي، و (الإلحاد مشكلة نفسية) للدكتور عمرو شريف و (وهم الإلحاد) له أيضا ومن الكتب التي صدرت حديثا (٢٠١٤) كتاب (الرد على الملحدين العرب) للدكتور -الطبيب- هيثم طلعت - وهو كتاب عام يتناول موضوعات شتى، وغيرها من الكتب التي تناولت نقد الإلحاد بشكل عام وأما البحوث المنشورة في الدوريات فمنها:

- ادعاء العقلانية عند الملاحدة للدكتور الشحات عبد الفتاح محمد إسماعيل، وهو بحث منشور بمجلة قطاع أصول الدين بجامعة الأزهر.
- الإلحاد مفهومه وأسبابه والموقف منه للباحثة الدكتورة ابتسام بنت عبد الرحمن الفالح. منشور بمجلة معالم الدعوة الإسلامية بجامعة أم درمان كلية الدعوة الإسلامية المجلد التاسع ٢٠١٦م.
- أسباب الإلحاد وأساليبه من خلال ما جاء عنهما في القرآن الكريم للدكتور علي بن عتيق حامد الحربي- مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- العدد الثالث والعشرون- ٢٠٢٠.

وهذه الموضوعات موضوعات عامة بالنسبة لموضوع هذا البحث حيث يستهدف دراسة

قضية محددة في إحدى وسائل النشر الرقمي.

وأما أخص ما نشر وأقربه لموضوع هذا البحث:

- بحث بعنوان (الإلحاد في العالم العربي) والرد عليه من خلال مواقع الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي دراسة تحليلية للباحث: أمجد محمد مرزا. منشور بالمجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية نشر جامعة آل البيت المجلد السابع عشر العدد الأول عام ٢٠٢١، وقد ركز هذا البحث على موقعين من مواقع الترويج للإلحاد؛ يقول الباحث في ص٥٦: (وكان تركيز البحث في الأغلب على الفيس بوك واليوتيوب لكونهما الأكثر انتشارا) .
- بحث بعنوان (الإلحاد عبر شبكات التواصل الاجتماعي صفحة شبكة الملحدين العرب على الفايسبوك نموذجا دراسة تحليلية) – للباحثة زكية منزل غرابة، بالاشتراك مع آسيا شكيرب منشور بمجلة العلوم القانونية والاجتماعية بالجمهورية الجزائرية – المجلد الثامن العدد الأول، جامعة زيان عاشور الجلفة. وحدود البحث هي صفحة شبكة الملحدين العرب على الفيس بوك.

وهذا البحثان لم يتناول أي منهما مجلة الملحدين العرب الإلكترونية بالدراسة وإن كانا قد اتجها إلى دراسة موضوع الإلحاد على شبكة المعلومات.

موقع هذا البحث من الدراسات السابقة:

تم اختيار عنوان هذا البحث بعد الاطلاع على غالب ما تم نشره في مواجهة الإلحاد ونقده، ولذلك فهو يعتبر لبنة في هذا البناء؛ حيث لم أجد من خصَّ مجلة الملحدين العرب الإلكترونية بدراسة أو نقد.

خامسًا: حدود البحث:

لم يُقصد من هذا البحث استقصاء كل مطاعن هذه المجلة التي بلغت أعدادها حتى كتابة هذا التمهيد ١٠٧مئة وسبعة عددا كل عدد منها مثقل بالمطاعن التي يحتاج الرد عليها إلى عدد من البحوث، ولأن هذا عمل يحتاج إلى مشروع تتآزرُ فيه جهود الباحثين؛ فقد اكتفيت بدراسة موضوع واحد هو مطاعنها حول الدين في أعداد محددة من هذه المجلة كنموذج يدل القارئ

على خطورتها على العقائد، ومن هنا فإن الحد العام لهذا البحث هو مجلة الملحدين العرب المنشورة على موقع (قناة الملحدين بالعربي) - ورابطاهما مذكوران آنفا- وهي تصدر كل شهر ميلادي، وقد صدر العدد الأول منها في شهر ديسمبر ٢٠١٢م وأما الحد الخاص فهو الخمسة الأعداد الأولى من المجلة فيما يخص المنشور عن (الدين) منها.

سادسًا: مناهج البحث، والطريقة المتبعة في كتابته.

ينتمي هذا البحث إلى مقصد الجدل العلمي وتصحيح الأفكار وتقويمها، وقد حتم ذلك استخدام المنهج التحليلي لتحليل المقولات وردها إلى عناصرها الأساسية، والاعتماد على المنهج الاستقرائي في تتبع المطاعن الواردة في عينة من أجزاء المجلة موضوع البحث، وحصر ما يخص الطعن في الدين منها، والمنهج النقديّ على وفق ما تقتضيه قواعد المنطق وما يقتضيه علم آداب البحث والمناظرة في تفنيد المطاعن ونقدها، وقد قدمت الحجج العقلية على غيرها في نقد المطاعن حيث يعتمد كتبة هذه المجلة على ما يحسبونه حججا عقلية، وأما الحجج النقلية التي قدمتها في نقد المطاعن فإني أوجهها إلى القارئ المسلم أولا حيث إنه المعنيّ في المقام الأول بالخطاب، وحيث إن تحصين العقل المسلم من خطر هذه المطاعن هدف محوري لهذا البحث.

أما أسلوب عرض المطاعن ونقدها فسأعرض موضوع الطعن تحت عنوان عام ثم أقسمه إلى أجزاء مستقلة بنفسها يتضمن كل جزء عرضا موضوعيا للمطعن أقفى عليه بنظرة نقدية، والهدف من هذا الأسلوب أمران: الأمر الأول: هو عدم إطالة عرض المطاعن منعا من الإيحاء التأثيري الذي يحدث نتيجة الإسهاب في عرض الأفكار الضالة.

الأمر الثاني: الإسهاب -بما يناسب المقام - في النقد والتصحيح وبيان فساد الأدلة التي يتشبث بها الطاعنون.

إضافة لما سبق فإن المطاعن وإن كانت - في الغالب- تتوجه إلى الدين كله في صورة عامة، فإن نقد هذه المطاعن سيكون موجها للدفاع عن الدين من حيث هو عقيدة عامة في مواجهة الإلحاد وهو يشمل الإسلام وغيره، لكن تركيزي في النقد التفصيلي سيكون على الإسلام حيث

إن الدفاع عنه من واجبي كباحث مسلم ومن واجبات المؤسسة الأزهرية التي أشرف بالانتماء إليها، ولأن هدفي المحوري هو القارئ المسلم دفاعا عن إيمانه وتثبيتا لعقيدته.

أما الطريقة التي سأتبعها في كتابة البحث فسوف تتجلى في اتباع المنهج العلمي في التوثيق، وذلك بعزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من السور القرآنية الكريمة بذكر اسم السورة ورقم الآية، وتخريج الأحاديث النبوية من مظانها مع بيان الحكم على الحديث إذا لم يكن في أحد الصحيحين، مع نسبة النصوص المقتبسة إلى ذويها ووضعها بين قوسي تنصيص " " وإذا تصرفت فيها فسأبين درجة التصرف مهما كانت، وإذا أضفت إليها شيئا للتوضيح فسأضعه بين قوسين [] وإذا كان هذان القوسان بالأصل فسأوضح أنهما لصاحب النص وليسا من إضافتي، وإذا تضمنت نصوص كتَبة المجلة أخطاء لغوية فسأكتفي بالإشارة إليها مع تصحيحها في الهامش. وكذلك إزالة مواضع الإبهام من البحث مثل الترجمة للأعلام غير المشهورة [1]، والترجمة للأماكن غير المشهورة، وإزالة الإبهام عن بعض الألفاظ التي تحتاج للتوضيح.

وأما توثيق مواضع المطاعن من المجلة فمن المهم أن أشير إلى أن هذه المجلة تصدر في أعداد مستقلة بصيغة pdf على الموقع المذكور سابقا، وقد قمت بتحميل أعدادها والاحتفاظ بها، ولهذا سأشير إلى رقم العدد والصفحة، وقد نسخت قبل قليل عند ذكر حدود البحث رابط هذه المجلة على شبكة المعلومات.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة تتضمن إشارة عامة للموضوع، وتمهيد يتضمن تحريرَ مفردات العنوان، والدراسات السابقة، وحدود البحث، وأهمية الموضوع، والمناهجَ العلمية

---

(١) سوف أستعين بشبكة المعلومات للأعلام المعاصرين الذين لمَّا تدرج ترجماتهم في مصنفات الأعلام الموجودة بين يدي.

المعتمد عليها في كتابته، وطريقةَ الباحث في كتابة البحث، ثم أربعة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: دعوى خطورة الدين على بناء الشخصية عرض ونقد.

المبحث الثاني: مبررات استمرار تقديس الدين عرض ونقد

المبحث الثالث: دعوى قيام الدين على التلقين والوراثة عرض ونقد

المبحث الرابع: أسباب إنكار الدين عرض ونقد.

خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: دعوى خطورة الدين على بناء الشخصية .. عرض ونقد

يتخذ الإلحاد موقفا هجوميّا ضد (الدين) من حيث هو اعتقاد بوجود خالق للكون والإنسان، ومبادئُ يتعلَّمها الإنسان لتكون منهجَ حياته، ولذلك فإن من يكتبون في مجلَّة الملحدين العرب الرقميَّة يثيرون الشكوك حول الدين في عقول القراء بشكل يتكرَّر في معناه ويتنوع في مبناه، ويهدفون من هذا المسلك إلى تشويه الدين والتنفير من التدين.

ومع صدور العدد الأول من هذه المجلة بدأ التنفير من الدين والتدين في مقال بعنوان (التلاعب بالعقول من وإلى)[١] وقد اشتمل على الدعويين الآتيتين:

أولاً: الدين يربي شخصية عدوانية.

يزعم كاتب المقال أن بناء الشخصية الإنسانية على أساس الدين، خطرٌ على الإنسان وعلى شخصيته حيث يجعلها الدين – في زعمه– شخصيَّةً انفعاليَّة، متطرِّفة في انفعالها، كارهة للمخالفين لها، راغبة في التخلص منهم، ويحاول الكاتب التَّدليل على هذه الدعوى من كون الأبوين يقومان بعملية أدلجة[٢] بطيئة للطفل منذ ولادته، ثم يمارسان هذه الأدلجة عبر التوجيه التربوي للطفل، وهذا التوجيه يقوم بوظيفة مزدوجة حيث يثبِّت المفاهيم الدينية من جهة، ومن الأخرى يشحن الطفل شحنا سلبيا ضد المخالفين له في الدين حتى يصله إلى الرغبة في قتلهم، فيزعم الكاتب أن إفساد عقل الطفل وشحنه ضد المخالف له يبدأ من شحن والديه نفسيهما، يقول:

---

(١) أطلق كاتب المقال على نفسه اسم: جون سلفر John Silver – العدد الأول ص ١٩ – الرابط: https://cutt.us/NdiW١

(٢) وضح كاتب المقال معنى الأدلجة بقوله: "الأدلجة هي عملية توجيه فكرية عن طريق حقن المتلقي على فترات طويلة بمجموعة معينة من الأفكار والهدف منها يكون سياسيا في الغالب". مجلة الملحدين العرب – العدد الأول ص١٩.

"من أهم البدايات هي بداية الأفكار الغيبيَّة فهي تقوم منذ ولادة الطفل وعن طريقه بأدلجة الأم والأب قبل التوجه للطفل وذلك باتباع طقوس تطبق عليه وتكون ظاهريًّا موجهة له، ولكنها في الواقع موجهة للوالدين ولكل من هم حوله مثال ذلك عندما يولد الطفل لأبوين مسلمين يقوم غالبا كبير الأسرة أو أكثر من هو موجود فقها بالتأذين في أذن الطفل (....) إن هذه العملية المقصود منها هو توجيه الأبوين فكريا لكي يحملو[١] مسؤولية أدلجة هذا الطفل لاحقا وبهذا يتم وضع حجر الأساس في نشوء الطفل فكريا"[٢].

ثم يشير إلى أن التوجيه التربوي للطفل ممن حوله يغذو هذه الأدلجة، فإذا قام الطفل "بحركة توحي لرمز ديني مطابق لمعتقدات أسرته"[٣] فإن الأبوين "سيقومان بالابتسام وتأييد الطفل حتى مع عدم إدراكه لذلك"[٤] وإذا قام الطفل "بحركة توحي برمز ديني مخالف لمعتقد أسرته"[٥] فسيكون "الغضب هنا عارما وربَّما يؤدي لأخذ الطفل مرة أخرى إلى الكاهن خوفا عليه من ذلك المعتقد"[٦] وبناء على هذا" سيتكوَّن عنده خوف ورعب من التصرف الذي لا يعرف ما يعنيه، ولكنه سيؤثر في شخصيَّته باعتبار أن هناك أشياء تجعل العالم يستشيط غضبا وبنفس الوقت هناك أمور ستجعل العالم يهلِّل فرحا بغض النظر عن ماهية الشيء وعن العمر

---

(١) الصواب: يحملوا.

(٢) مجلة الملحدين العرب- العدد الأول- ص ٢٠.

(٣) مجلة الملحدين العرب العدد الأول ص: ٢٠.

(٤) السابق ١/ ٢١

(٥) نفسه: ص٢١.

(٦) نفسه: ص٢١

الذي سيقوم به بهذا الفعل" [١].

ويزعم الكاتب أن هذه الشخصية الانفعاليَّة المتطرفة تمت صياغتُها " طبعا في أغلب المجتمعات الدينية يقومون بشحن الطفل ضد الغير، وأمهر الشاحنين هم الكهنة أو الموجهين[٢] الحزبيين في بعض المجتمعات التي يسيطر عليها تفكير حزبي معين فيتم معهم تعزيز التابو[٣] وتطويق التفكير من كافة الاتجاهات ولا يتركون له إلا خطة واحدة لأن الباقي يكون خطرا ومحرما وكذلك مكروها، سينشأ الطفل في كل هذه الظروف وسيصبح يافع[٤] يكره كل ما هو مخالف أو ضد الفكر السائد حتى أن البعض منهم يقومون في هذه السن بالدخول في دوامات التضحية لإنهاء الآخر باعتباره خطرا"[٥].

وخلاصة مزاعم الكاتب في الفقرات السابقة أن: التربية الدينية توجيه مستمر للطفل من الأبوين نحو العدوانية.

---

(١) مجلة الملحدين العرب العدد الأول: صـ٢١.

(٢) الصواب: الموجهون.

(٣) التابو: مصطلح أنثروبولوجي يراد به الأشخاص أو الأشياء التي يكون الاتصال بها ممنوعا وعرضة للعقاب الشديد من جانب المجتمع أو من جانب الآلهة. المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م – (ص: ٣٦) . والمصطلح الأنثربولوجي يعني البشري. والأنثروبولوجيا هي دراسة الجماعات البشرية الفطرية أو التي لا تزال أقرب إلى الفطرة أو من حيث كونها كائنات حية ذات عقل وثقافة. ينظر المرجع نفسه ص ٢٤. وعليه فالمراد به هنا المعتقدات والأفكار الدينية التي لا يجيز المجتمع مناقشتها ولا الاقتراب منها.

(٤) الصواب يافعا.

(٥) مجلة الملحدين العرب – العدد الأول ص ٢١.

نظرة نقدية:

ليس للكاتب حق في مزاعمه تلك؛ لأن قيام التربية الدينية للناشئة على توجيه المواقف المختلفة في الحياة وتوظيفها في ترسيخ الإيمان أمرٌ لا يعيب التَّربية الدينيَّة؛ لأنه أمر بدهيّ في كل نوع من أنواع التربية دينيَّةً كانت أو لا دينيَّة، لأن مبادئ التربية والتوجيه تُستمدُّ من ثقافة المربِّين واتجاهاتهم، والإنسان لا يستطيع أن يناقض نفسه فيوجِّهَ صغاره بما هو مخالف لقناعاته، وإنه لمن الطبعي أن يُشجَّع الطفل إذا قام بما يوافق دينه ودين ذويه، ومن الطبعي أن يُنبَّه ويُقوَّم إذا خالف ذلك؛ ولذلك فإن من التجنِّي والتعصُّب تخصيصَ التربية الدينية بالطعن فيها من هذا الجانب، فما دام الأمر عاما فلا يصح تخصيص التربية الدينية بالنقد عندما يوجه الطفل الناشئ في ظل وجهتها، وتوظَّف المواقف الطارئة في ترسيخ مبادئها العقدية والأخلاقية.

ومن جهة أخرى فإن الطفل مفطور على التقليد والتأثر بالبيئة حتى ولو أهمل المسؤول عنه في توجيهه وتقويمه مباشرة، فلا فكاك من تأثر الطفل لا شعوريا بما يحيط به، يقول جوستاف لوبون[(١)]:

" ومن أعظم المؤثرات في التربية شيء تعودنا ألا نقدِّره كما ينبغي وهو البيئة؛ ذلك أن الطفل مفطور على التقليد، يأتيه دون أن يشعر به، وهو يقلِّد بطبيعة الحال من يحيط به من أهله وذويه، وهذا التقليد اللاشعوري هو الذي يكوَّن في نفس الطفل مع سهولةٍ ويسرٍ غرائز لم تكن التربية لتصل إلى تكوينها إلا بعد عسر وجهد فإذا أحسنت البيئة حسُنت آثارها في تكوين الطفل،

---

(١) جوستاف لوبون: مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٤١ م طبيب ومؤرخ عني بالحضارة الشرقية، من آثاره: الحضارة المصرية عربه الأستاذ صادق رستم، حضارة العرب عام ١٨٨٤ ترجمه الأستاذ عادل زعيتر، حضارة العرب في الأندلس عربه الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي ١٩٢٣ . ينظر المستشرقون – نجيب العقيقي تحت عنوان: الدكتور ليبون ج١ ص ٢٢٧ ط دار المعارف – ١٩٦٤ م.

وإذا ساءت البيئة ساءت نتائجها في هذا التكوين، وصادق جدا هذا المثل الفرنسي القائل: "نبئني عن عشيرتك أنبئك من أنت"[١].

ومن اليسير إدراك ذلك عند مطالعة بعض سير الملحدين، فلقد " كان جيمس والد جون ستيوارت مل[٢] John Sturt Mill فيلسوفا ورجلَ اقتصاد كبيرأ وكان شديد الاهتمام بجون الذي كان شديد التعلُّق بوالده، الذي تولَّى تعليمه بنفسه في المنزل، وكانت النتيجة أن تبنى جون إلحادَ والده. وفي مرحلة متقدمة من حياته كان (مل) يشكو أن تعلُّقه بوالده الملحد لم يجعل الإيمان اختيارا مطروحا بالنسبة له"[٣]، وأيضا " كانت سيمون دي بوفوار[٤] Simon de Beauvoir شديدة التعلق بوالدها غير المؤمن، وكانت تقول: "إنَّ شكَّ أبي مهد الطريق لي، وأراحني من الخوض بمفردي في مغامرة خطيرة (تقصد الإلحاد) "[٥]

وفي دراسة ميدانية[٦] أجراها أستاذا علم النفس بوب التمير[١] Bob Altemeyer و

---

(١) روح التربية – جوستاف لوبون – ص ١٣٢.

(٢) جون ستيورات مل: فيلسوف وعالم اقتصاد إنكليزي ولد في لندن ٢٠ مايو ١٨٠٦م وتوفي في آفينون ٨ مايو ١٨٧٣م من مؤلفاته: (مذهب المنطق،) في النفعية)، (فلسفة وليم هاملتون)، (أوغست كونت والوضعية) . يراجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ط. الثالثة، دار الطليعة – بيروت – دون تاريخ، (ص: ٦٣٨).

(٣) الإلحاد مشكلة نفسية – د. عمرو شريف– الطبعة الأولى – ٢٠١٦م – نشر نيولوك – القاهرة – (ص ١٣٥) .

(٤) سيمون دي بوفوار: كاتبة ومفكرة فرنسية، فيلسوفة وجودية تأثرت بفلسفة جان بول سارتر، وهي وناشطة سياسية، ونسوية، إضافة إلى أنها منظرة اجتماعية، ولدت في باريس ١٩٠٨م وتوفيت فيها ١٩٨٦م، يعتبر كتابها (الجنس الآخر) بمثابة نص تأسيسي للنسوية المعاصرة. يراجع ويكيبديا https: //cutt.us/dnzBq تاريخ المشاهدة ١١/ ٤/ ٢٠٢٣ م.

(٥) الإلحاد مشكلة نفسية ص ١٣٥.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن هذه الدراسة يراجع الإلحاد مشكلة نفسية ص٢٩٤ وما بعدها.

(بروس هنزبرجر)[٢] Bruce Hunsberger سئل طلاب مسيحيون عددهم ٤٠٠ طالب عن موقفهم لو تربوا على ديانة غير مسيحية وأنهم أجابوا جميعا أنهم كانوا سيؤمنون بها كذلك ولكن بدرجات متفاوتة فنسبة ٥٧ ٪ قالوا إنهم كانوا سيؤمنون بها كإيمانهم بالمسيحية بينما أجاب بنسبة ١٩ ٪ أنهم كانوا سيؤمنون بها بشكل أقل من المسيحية على الأرجح أما نسبة ١٣ ٪ فقالوا إنهم بلا شك كانوا سيؤمنون بها بشكل أقل من المسيحية أما الباقون ممن لهم مؤاخذات كبيرة على المسيحية ونسبتهم ١١ ٪ فقالوا بأنهم كانوا سيؤمنون بها بشكل أكبر من المسيحية[٣] وإجابات النسبة الغالبة منهم تتجه نحو ديانتهم التي نشأوا فيها مما يدل على أثر التربية في تشرب التوجهات العقدية والفكرية في نفوس الناشئة.

يستخلص مما سبق أن التوجيه التربوي شأن عام لدى كل المربين مع اختلاف توجهاتهم؛ فهم فيه سواء، وإنما المشكلة الأساس في أمرين:

الأمر الأول: هو مضمون المبادئ التي يلقنها هؤلاء المربون لصغارهم فإن كانت مبادئ عدوانية مصوغة من الكراهية فهنا موضع الإشكال.

الأمر الثاني: هو المنهج الذي يتبعه الموجِّهون – على فرض صحة المبادئ– فقد يكون منهجا قائما على التعصُّب والكراهية وقد يكون منهجا عدلا قويما.

=

(١) بوب ألتمير: أستاذ علم النفس بجامعة مانيتوبا، ولد ٦ يونيو ١٩٤٠، له إسهامات في تعريف الشخصية الاستبدادية اليمينية واليسارية، وبحوث عن الاستبداد بوجه عام . ويكبيديا الرابط https: pgT٣//cutt.us/F تاريخ المشاهدة ١١ إبريل ٢٠٢٣م.

(٢) بروس هانسبرغر: أستاذ علم النفس بجامعة مانيتوبا، ولد عام ١٩٤٦ م وتوفي في أونتاريو عام ٢٠٠٣ م بمرض اللوكيميا له اهتمام خاص بعلم النفس الديني. ينظر: https://cutt.us/KyRr١ تاريخ المشاهدة ١١ إبريل ٢٠٣٢م.

(٣) راجع: الإلحاد مشكلة نفسية – ص ٣٠٦، ٣٠٧.

وفيما يخص الإسلام فإن قضية التعامل مع المخالفين في الدين كما جاءت بها نصوصه تؤكِّد أنها تتجه إلى السِّلم والعدل، كما سيأتي بعد قليل.

أما زعم الكاتب أن التوجيه الديني للطفل يكون بالانفعال الزائد من أهله بحيث ينشأ هذا الطفل على الغضب والكراهية لكل ما هو مخالف لمبادئ دينه، فهذا افتراض لا يقوم على دليل من استقراء أو دراسات ميدانية صادقة ولذلك من السهل رفضه، بل إن التاريخ والواقع يكذِّبانه فعلى مرِّ التاريخ تعايش المسلمون وغير المسلمين في بيئات إسلامية وكانت الحالُ الغالبة هي تماسكَ المجتمعات وانسجامها سوى ما يظهر من نزاعات أحيانا لا يخلو منها مجتمع إنساني، ولا تؤثر على الحكم العام باستقرار هذه المجتمعات.

وأما وصف التربية الدينية بأنها (حَقْنٌ سياسي ضد المخالفين في الدين) فوصف مرفوض إذا أريد به التعميم على كل المسلمين وكلِّ المجتمعات الإسلامية، وإذا كانت ثمة جماعاتٌ إرهابيَّةٌ تقوم بهذا الشحن لأفرادها وترتكب الجرائم باسم الدين، فالدين منها براء، وعامة المسلمين برءاؤ منهم، ومن الظلم البيِّن تعميم هذه الحالات الشاذة لتنطبق على جميع المتدينين.

يدل على ذلك أن نصوص المبادئ الدينية موجودةٌ تشهد بخلاف ذلك وهي التي يستقي منها المسلمون نهجهم تجاه المخالفين لهم، فيستقي منها الدعاة في نشر مبادئ الإسلام، ويستقي منهم الآباء والأمهات في توجيه أبنائهم. من هذه المبادئ:

١. تقبل الخلاف في أمر التدين على أنه واقع اجتماعي، سمحت الإرادة الإلهية له بالبقاء، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[١] وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ**

(١) سورة يونس الآية: ٩٩.

﴿رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[١] فيعتقد المسلم أن هذا الخلاف أمر عادي، فإذا سمحت إرادة الله تعالى بحدوثه، فليس للمسلم أن يُكره غيره على الإسلام وإن كان له أن يدعوه إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢. تقبل المخالفين أنفسِهم كأعضاء في المجتمع المسلم في ظل الوطن الذي يوحِّد بين الجميع ويلزمهم بأداء حق هذا الوطن من الترابط والوحدة والدفاع عنه[٢] ومعاملتهم بما يعامل به المسلمون في المعاملات العادية، ويبلغ هذا الاندماج ذروته في حِلِّ طعامِهم، وحِلِّ الزواج من نسائهم، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٣].

٣. المساواة في التعامل دون تفرقة على أساس الدين، فالسِّلم للمسالم مهما كان دينه، والعقوبة للمعتدي أيا كانت عقيدته، وهو نفس المبدأ الذي ينطبق على كافة المسلمين[٤] قال

---

(١) سورة هود الآيتان: ١١٨، ١١٩.

(٢) يدل على ذلك المعاهدة التي كانت بين النبي (صلى الله عليه وسلم) واليهود في المدينة، حيث تعاهد المسلمون واليهود على الاتحاد ضد من يحاول مهاجمة المدينة وإلزام الفريقين بالمشاركة في نفقات الحرب ومن بنودها: أنه لا تجار قريش ولا من ناصرها، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين. يراجع: سيرة ابن هشام - عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري-طبعة الحلبي- الثانية الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م- تحقيق: مصطفى السقا وزميليه- (ج١ ص٥٠٣) .

(٣) سورة المائدة الآية: ٥.

(٤) سورة المائدة الآيتان: ٣٣، ٣٤. فهؤلاء الذين يتحدون لترويع الناس - مع أنهم مسلمون- يطلق عليهم (البغاة) ويكون جزاؤهم ما ذكرته الآية الكريمة .

تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١] وقال الله تعالى في جزاء العصابات المسلحة التي تروع الناس: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢] وهذا ينطبق على بغاة المسلمين وغير المسلمين، وفي الوصية بحسن معاملة أهل العهد والذمة يقول النبي (ﷺ): "ألا مَن ظَلم مُعاهِداً أو انتَقصَهُ أو كلَّفَهُ فوقَ طاقَتِه أو أخَذ منهُ شيئًا بِغيرِ طِيبِ نَفسٍ فأنا حَجِيجُهُ يوم القيامةِ"[٣] وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، قَالَ: "مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"[٤].

كانت هذه شذرات من المادة النصية التي تشكل مبادئ التعايش بين المسلمين وغير المسلمين وهي تتجه نحو المسالمة، والاندماج، فإذا انحرف عنها من انحرف في زمن ما أو مكان ما فهو لا يمثل الإسلام ولا يعبِّر عنه، ومن هنا فإن التربية على مبادئ الدين في الإسلام تكون شخصية متزنة وعادلة في معاملتها مع غيرها، ولا تصنع شخصا عدوانيا كما يزعم الكاتب.

---

(١) سورة الممتحنة الآية: ٨.

(٢) سورة المائدة الآيتان: ٣٣، ٣٤.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب الخراج والفيء والإمارة – باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة – حديث رقم ٣٠٥٢. ط دار الكتاب العربي – بيروت – دون تاريخ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجزية والموادعة باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم – رقم ٣١٦٦– فتح الباري في شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني– ج٦ ص ٣٧٧ دار مصر للطباعة – الطبعة الأولى– ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

ثانيًا: دعوى أن التربية الدينية تكون نفسية قلقة.

وبعد أن وصم الكاتب الشخصية التي يتم تربيتها في محضن الأسرة المتدينة بالانفعالية غير المسؤولة والتي تعتبر خطرا على المجتمع أشار إلى أن هذا الخطر سوف ينعكس على الشخصيَّة نفسها، فتعيش معذَّبة محتارة، وإذا ما فكرت في احتمال أن يكون المخالفون لها على صواب فسوف تفكر في الانتحار. يقول:

" ولكن هذا لا يكفي يجب الآن الدخول في المرحلة الثالثة وهي التهديد والوعيد وإشفاء الرغبات فكلما كان التأثيران كبيران [هكذا] بمقابل الفعل في المرحلة الأولى ستكون هذه التأثيرات عالية جدا من العذاب الأبدي أو إنهاء الحياة في حال التفكير أن يكون الآخر على صواب أو ربما أن الجميع في معركة لا ناقة فيها لهذا اليافع ولا جمل"[(١)].

إن الكاتب هنا يكتب من وجهة مقارنة بين الدين من حيث هو إيمان بالغيب، والإلحاد من حيث هو قناعة بالحاصل المرئي، وعليه فالدين مدعاةٌ للشك لكونه يحتاج لعمليات استدلال عقلية لإثباته، أما الإلحاد فلا مجال فيه للشك والحيرة لكونه نفيا للغيب وإيمانا بالطبيعة المرئية، فمثل الملحد كمثل مثل عابد الأصنام الذي لا يشك في وجود الصنم لأنه أمام عينيه!

وينتهي كاتب المقال إلى إصدار حكم عام يشرح فيه خطورة أن يكون الإنسان صاحب دين، وخطورة أن تتربى الأجيال على مبادئ الدين فيقول: "هذا هو التلاعب بالعقول حض على الكراهية والانتقاص من قيمة الفرد وتوجيهه وتهريبه[(٢)] بكافة الطرق الممكنة من صغره إلى شبابه وبهذا ينشأ لدينا جيل متحارب متناحر يكره بعضهم لاختلافهم في التفكير ولأن أهلهم لن

---

(١) مجلة الملحدين العرب العدد الأول ص٢٢.

(٢) هكذا بالأصل، والصواب وترهيبه لتستقيم مع السياق.

يكونوا من نفس البيئة"[١].

وخلاصة القول إن الكاتب يزعم أن التوجيه الديني خلال المراحل العمرية للشخصية خطر على هذه الشخصية لما يأتي:

أ. التدين مدعاة إلى الشك – لكونه تصديقا بالغيب– يثير الشكوك والعذاب النفسي ويؤدي للانتحار.

ب. الدين ينتقص من قيمة الإنسان، ويربيه على الخوف في كل مراحل حياته.

ت. الدين تلاعب بالعقول ويربي أجيالا على الكراهية ويثير الحروب بينها.

نظرة نقدية:

أ. هل صحيح أن التدين يؤدي إلى القلق النفسي من أثر الشكوك التي تصيب المؤمن لكونه مصدقا بوجود ما لا يراه؟

هذا ليس صحيحا على الإطلاق لأن العكس هو الصحيح فالقلق النفسي وعذاب الشك يصيب من لا يؤمن بالغيب ولا يعترف لله تعالى بالوجود؛ وسبب ذلك أن الإيمان بالله مغروس في الفطرة الإنسانية والإنسان دائما جائع إلى الإيمان يبحث عنه ويسد هذا الجوع بالاعتقاد بوجود خالق مهما كان تصوره لهذا الخالق[٢]، فهل كانت البشرية في اعتناقها للدين تبحث عما

---

(١) مجلة الملحدين العرب – العدد الأول ص٢٢.

(٢) يقول الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (الدين) ص٣٨: " إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليسن هناك جماعة إنسانية، بله أمة كبيرة، ظهرت وعاشت ثم مضت، دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه، ودون أن تتخذ لها في هذه المسائل رأيا معينا حقا أو باطلا يقينا أو ظنا، تصور به القوة التي تخضع لهذا هذه الظواهر في نشأتها" . ومعنى هذا أن العقيدة هي الأصل وأن محاولات طمسها انحراف عن ذلك الأصل. وفي معجم لاروس للقرن العشرين: " إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجنس البشرية، حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية...وإن الاهتمام =

يؤدي للقلق والحيرة أم كانت تبحث عما ينجيها من القلق والحيرة والشك؟

إن الإيمان هو الأصل الذي توافق عليه البشر، ومخالفته بالإلحاد الكامل شذوذ عن الأصل العام الذي يستريح إليه الإنسان نفسيا؛ ولذلك يؤدي الإلحاد التام إلى الحيرة والمعاناة النفسية، فيعاني الملحد بسبب حرمانه من سكينة الإيمان، وطمأنينة العقيدة، وهذه سمة عامة عند الملحدين ومن شواهد ذلك هذه المواقف التي تعبر عن الحيرة والعذاب النفسي لبعض كبراء الملحدين في لحظاتهم الأخيرة:

- ففي " لحظات من الشك في الإلحاد، صرح الفيلسوف الكبير جان بول سارتر[١]: (لا أتحمل أن أرى نفسي كومة من التراب الذي ظهر بالصدفة في الكون، إني أرى نفسي كائنا محسوب[٢] حسابه، سبَق تقديره، استُدعي لغاية، كائنا لا يوجد إلا كخَلْقِ إلهٍ حكيم. إن هذا القول يتعارض مع الكثير من آرائي، لكنها فكرة تطفو فوق السطح كل حين وآخر. إن هذه الفكرة تدفعني لأن أعيد النظر في منظومتي الفكرية.

- وقال الفيلسوف والسياسي الأمريكي توماس بين Thomas Paine إني مستعد أن أضحي بالوجود كله لو كنت أملكه، إنني أواجه الجحيم وحدي

=

بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية" السابق ص٨٢، ٨٣ . فهل كانت البشرية في اعتناقها للدين تبحث عن قلقها النفسي وحيرتها وشكها أم تبحث عن السكينة والاطمئنان في الإيمان؟

(١) جان بول سارتر: كاتب وفيلسوف فرنسي، ولد في باريس عام ١٩٠٥، ومات فيها عام ١٩٨٠، نشا لأم كاثوليكية وجد بروتستانتي، درس الفلسفة وله عدة مؤلفات من أشهرها: (الوجود والعدم) يقول عنه جورج طرابيشي إنه التأليف المركزي للوجودية الملحدة. يراجع: معجم الفلاسفة – جورج طرابيشي – الطبعة الثالثة – دار الطليعة – بيروت – ٢٠٠٦م (ص ٣٤٨حتى ٣٥١) .

(٢) هكذا بالأصل والصواب: محسوبا.

• " كان الكونت ميرابو[١] Mirabeau يصرخ عند وفاته: أعطوني مورفين، لا أستطيع أن أفكر في العدم"[٢].

ولهذا يمكن القول – بوجه عام– إنه " لا يوجد عذاب يلقاه الملحد أشد من سؤال معنى الحياة، عندما يطرقه في خلوته بنفسه أو يوقظه من نومته، ليجلدَه بسوط الحيرة وصرخة الفطرة المخبرة أن هذا الكون لا يمكن أن يكون صنيعة العبث"[٣]، أما الإيمان فيحقق الانسجام مع الفطرة والتوافق مع العقل والراحة الكامنة في الفضيلة.

إضافة لما سبق فإن منشأ الغلط في هذا الطعن هو افتراض أن الإلحاد –من حيث هو اكتفاء عقدي بالطبيعة الظاهرة– سيكون أكثر إقناعا وأكثر تحصينا من الشك الذي يمتد في فراغ الإيمان، وقد يكون هذا صحيحا إذا كان الملحد المنكر لوجود الله قد نجا من الشك والحيرة في ظل إيمانه الوثني بالطبيعة فقط، ولكنه سيفاجأ بأسئلة لن يجد لها حلا إلا في ظل الإيمان؛ لأن النظر في الطبيعة والبحث فيها سيثير – عند العقلاء– مزيدا من الأسئلة المحيِّرة مثل السؤال عن العلة الأولى في وجود الطبيعة، والسؤال عن علة النظام الذي تسير عليه الطبيعة، والسؤال عن الغاية التي تتجه إليها الطبيعة، والسؤال عن العلة الأولى في وجود الإنسان في هذا العالم، والسؤال عن مهمة الإنسان في هذا العالم، والسؤال عن ظاهرة الحياة وظاهرة الموت ومصير الإنسان بعد الموت، هذه الأسئلة التي تخبطت فيها عقول الفلاسفة، وكلما أوغلوا في التعليل

---

(١) الكونت ميرابو: اسمه أونوريه جابرييل ريكويتي يعلاف بالكونت ميرابو ثوري فرنسي وكات صحافي ولد في ٩ مارس ١٧٤٩م ومات في ٢ إبريل ١٧٩١ م قرأ لفولتير ففقد دينه وألحد. ينظر: https://cutt.us/lEu٤٨ تاريخ المشاهدة ١١ إبريل ٢٠٢٣م.

(٢) تراجع في هذه الأقوال في الإلحاد مشكلة نفسية – ص ١٤٩، ١٥٠.

(٣) الإلحاد في مواجهة نفسه – د.سامي عامري– طبعة رواسخ – ٢٠٢١م– ص ١٥٤.

بعيدا عن الإيمان بالله تعالى ازدادوا شكا وحيرة[١] فإذا كانت هذه حال الإلحاد في ظل التفلسف فكيف بحال البسطاء ثقافة وفكرا؟ لن يزدادوا إلا حيرا وشكا وعذابا نفسيا.

إن الحال التي يصورها هذا الكاتب- أي حال الشك في صحة المعتقد، والهلع من احتمال كون الإيمان باطلا، إنما هي الحال التي سيصل إليها من يستمع لمطاعن الملحدين، ويقرأ تشكيكهم المتواصل في صحة الدين، أما الإيمان الفطري الراسخ فيصل بالمؤمن إلى قمة السكينة، والطمأنينة النفسية، ولو وجد الكاتب شيئا كهذه الاعترافات المثيرة للشفقة التي تعبر عن قلق الملحدين وهلعهم عند الموت- لو وجد شيئا من ذلك عند المؤمنين لما تردد في الاستشهاد به.

ب. دعوى أن الدين ينتقص من كرامة الإنسان ويربيه على الخوف:

وهذا غير صحيح على الإطلاق، لأن تكريم الإنسان إذا لم يكن من مصدر أعلى خالق للجميع يسوي بينهم ويحرِّم دماءهم وأموالهم وأعراضهم على بعضهم، فإنه سوف يرتد إلى منبع إنساني، والإنسان مختلف في تقديراته وميوله، فيميل إلى تكريم ذاته بالانتقاص من شأن غيره، ويميل إلى تفضيل قوميته على غيرها، ويشهد لذلك أن العالم- مع تحضره - لا يزال يناقش قضايا "العنصرية والتمييز العنصري وكره الأجانب وما يتصل بذلك من أشكال التعصب" [٢] ومعنى هذا أن تقدير الإنسان لقيمة الإنسان يتحكم فيه الهوى والأنانية، وأن

---

(١) يراجع: قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن - الشيخ نديم الجسر- هدية مجلة الأزهر- رمضان ١٤٤٣هـ إبريل ٢٠٢٢م ج١ ص ٤٠ وما بعدها. وفيه عرض لمسالك الفلاسفة في الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى؛ مما يعني أن الإنسان حتى وإن لم يؤمن بوحي سيظل يسأل نفسه هذه الأسئلة ويحاول الإجابة عليها فيخطئ كثيرا ويصيب أحيانا

(٢) هذا عنوان دورة مجلس حقوق الإنسان التابع للجمعية العامة للأمم المتحدة في دورته الخامسة والعشرين في ٢٢ إبريل ٢٠١٤م.

الإنسان يحتاج إلى الإيمان بالله ليستمد من إيمانه قيم المساواة والعدل احترام الإنسان من حيث هو إنسان، فمع الإيمان تكون القيمة الإنسانية ثابتة لا تتغير، لكن مع الإلحاد تكون قيمة الإنسان نسبية لا ثبات لها وقد تنعدم.

وفيما يخص الإسلام فإن الإنسان مكرم لإنسانيته بتكريم الله تعالى له. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[١] فالإنسان قد "كرّمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد. وسلطه على ما في الأرض وسخره له"[٢]، وهذه سمات عامة يشترك فيها كل بني آدم سواء أكانوا مسلمين أم غير ذلك.

وأما اتهام الدين بانه يؤدي لترهيب الإنسان أو تربيته على الخوف في كل مراحل حياته فدعوى مرفوضة، والكاتب قد ألقاها هكذا بلا شاهد يؤيدها، ولو كان المسلمون يربون أبناءهم على الترهيب والتخويف والعنف لشاعت الأمراض النفسية والانحرافات السلوكية في المجتمعات المسلمة حيث يترتب على هذا النوع من التربية " اضطرابات سلوكية وعاطفية مثل إبداء السلوك العدواني، والسلوك المعادي للمجتمع، والقلق والاكتئاب وتقلب المزاج، والانتحار ومحاولاته، وارتفاع مستويات العدوانية والتصرف بغرابة"[٣] فإذا كان الدين هو المحرك لهذا النوع من التربية فهل نجد هذه الآثار سمة عامة في جميع البلاد المسلمة؟ لا يقول

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٢) تفسير الكشاف – الزمخشري – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٧ هـ – بتصرف يسير – (ج٢ ص ٦٨٠) .

(٣) يراجع: الندوب الخفية كيف يضر العنف بالصحة النفسية للأطفال – مكتب الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة المعني بالعنف ضد الأطفال– ٢٠٢٠م– ص ٩، ١٠.

بهذا عاقل.

إن التوجيه التربوي والدعوي في الإسلام في خطاب الجماهير يوازن بين الترغيب والترهيب وفي حالات خاصة يفضل الترغيب، فمثلا عند خطاب الشخصية اليائسة من رحمة الله بسبب تماديها في السلوك السيء يكون الخطاب بالترغيب وبيان سعة رحمة الله حتى تعطى فرصة لتقوم نفسها بما ينفعها وينفع المجتمع، وفي حالات أخرى يفضل الترهيب، مثلا عند توجيه من غلب عليه الأمن من عذاب الله بحيث يجترئ على المعاصي وظلم الناس فهذه الشخصية تخوف من عذاب الله تعالى حتى تسير على الجادة وفي هذا صلاحها وصلاح للمجتمع حيث يأمن شرها[(١)]، وهكذا فلكل مقام مقال، وهكذا ينشأ الإنسان متزنا نفسيا وعاطفيا وعقليا.

وهذا القانون التوجيهي يمارسه الإنسان بالفطرة السليمة، ويتكيف به مع الواقع، ولذلك فإن دعوى أن التربية الدينية تقوم على التخويف المستمر والترهيب الدائم حتى تنتج أجيالا غاضبة متشنجة ما هي إلا خيال جامح يتحطم على صخرة الواقع.

ت- دعوى أن الدين تلاعب بالعقول ويربي أجيالا متحاربة متناحرة.

وأما زعم الكاتب أن التربية على الدين تلاعب بعقول الناشئة، وخطر على المجتمعات، فمردود بأن التربية الدينية ليست تلاعبا بالعقول، بل هي تقدير للعقول، وإيقاظ لها، وتقدير لقيمة الإنسان وتوجيهه التوجيه السليم لخيري الدنيا والآخرة، وهذه التربية كفيلة أن تنشئ جيلا متماسكا متَّحد الهدف والغاية. والتاريخُ يشهد بنشأة هذا الجيل في ظل الإسلام، الذي أقام أعظم حضارة عرفتها الدنيا حيث عاشت الشعوب المختلفة الأديان والأعراق في ظل الحضارة الإسلامية.

---

(١) يراجع: ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة والمجادلة والحكم على الآخرين - د. حسين مجمد خطاب- الطبعة الثالثة- ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م- (ص ٢٨-٣٢) .

وهو مردود بأن ليس هناك تلاعب بالعقول واستخفاف بها أعظم من إنكار خالق الإنسان مع الاعتراف بالخلق المعجز في جسم هذا الإنسان وفي عقله وقدراته، والعجز عن تفسير حقيقة الحياة وحقيقة الموت، ثم نسبة ذلك إلى الطبيعة وهي كلمة غائمة تعبر عن التهرب من السؤال، وليس هناك تلاعب بالعقول أعظم من الاعتراف بالنظام الدقيق الذي يسير عليه الكون ثم نسبة ذلك إلى صدفة ظهرت في اللازمان واللامكان، فإذا لم يكن إنكار السببية هو الاستخفافَ بالعقول فماذا يكون؟

وادعاء أن الدين يربي أجيالا متناحرة فمردود بأن التناحر بين الجماعات الإنسانية طبيعة بشرية جاء الدين ليضعها في ميزان عادل ينصف فيه المظلوم ويأخذ على يد الظالم، فلا عدوان بسبب العقيدة وإنما العدوان على الظالمين، وعند المقارنة نجد أن الإلحاد لم يمنع الملحدين من ارتكاب أعتى الجرائم في حق البشرية حيث تنعدم قيمة الإنسان في التصور الإلحادي عندما يعتبره الملحد نتاجا من نتاجات الطبيعة وكائنا من مكوناتها ليس له خالق يحمي حقوقه الوجوديَّة؛ ففي ظل التصور الإلحادي "يُردُّ الإنسان إلى مرتبة دونٍ مع الظباء والضباع، ويصبح الانتصار لحقه في الحياة وتجريم إذايته وتحريم مسه بسوء، وإنكار طمس حقوقه بلا سند ولا حجة؛ لأننا سنُرد إلى الغابة حيث يرتع الجميع كما يشاؤون، وما القتل والنهش [عندئذ] غير طلب طبيعي للحياة وإن تناثرت الأشلاء مزعا وثعبت الدماء مدرارا"[(١)] وبناء على هذا التصور الإلحادي فإن "تاريخ الدول الإلحادية كالاتحاد السوفياتي وكوريا الجنوبية وكمبوديا والصين مطرد في شهادته أن الحكم الذي يقوم على إنكار وجود الله وأن الحياة مادة لا بد أن ينتهي إلى

(١) الإلحاد في مواجهة نفسه- د. سامي عامري - (ص: ٤٠) .

نتائج مروعة في حق الإنسان. وتاريخ ستالين [١] وبول بوت [٢] والحزب الشيوعي الصيني لو لم يكن في تاريخ البشرية غيره لكان وحده أعظم إدانة للإلحاد"[٣].

الخلاصة:

١. التأثير على الناشئة بالتوجيه القولي، والتعليم، وإرساء القدوة أمر عام في كل اتجاهات التربية مؤمنة كانت أو ملحدة؛ ولذلك من التجنِّي أن تعاب به التربية الدينية وحدها.

٢. التربية الدينية التي تعلم التعصب والكراهية إنما هي من خطأ المربِّين الذين ينتسبون للإسلام، وهي حالات فردية سببها الجهل أو التعصب وهي تمثل نفسها فقط ولا تعبر عن عموم الشعوب المسلمة.

٣. شريعة الإسلام لا ترفض وجود المخالفين للإسلام وإنما تعطيهم حريتهم الدينية وتترك أمر الحساب على المعتقد لله تعالى، وتقبل مصاهرة أهل الكتاب ومخالطتهم ومعاملتهم وتميل

---

(١) ستالين: اسمه الحقيقي فيساربو نوفيتش أما اسمه المستعار فهو جوزيف ستالين ولد سنة م١٨٧٩ وهو قائد شيوعي بارز حكم الاتحاد السوفياتي حكما فرديا مطلقا بعد أن تخلص من رفاقه بطرق شتى، يقول عنه رفيقه ميلوفان دجيلس إنه كان واحدا من أقسى الحكام وأشدهم استبدادا في تاريخ البشرية أُهلكت باسمه الملايين ومع هذا كان مقتنعا أنه ينفذ حكم التاريخ فلم يكن ضميره منزعجا لذلك مات سنة ١٩٥٣م. يراجع موسوعة مشاهير العالم – مجموعة من المؤلفين – الطبعة الأولى – دار الصداقة العربية – بيروت – ٢٠٠٢م – (ص: ٩٩، ١٠٠) .

(٢) بول بوت: رئيس وزراء كمبوديا ولد في ١٩٢٥ م قاد الحركة الشيوعية واشتهر بسياساته القمعية كالإعدام والعمل الإجباري لأهل بلاده مما أجبرهم على الفرار إلى فتنام مات في عهده بسبب سياساته ما يقرب من ثلاثة مليون شخص وعندما اجتاحته القوات الفيتنامية هرب إلى منطقة الغابات في شمال كمبوديا ووضع قيد الإقامة الجبرية ومات سنة ١٩٩٨م . يراجع: ويكيبديا مادة: بول بوت، و الخمير الحمر. تاريخ المشاهدة ٤/ ٢/٢٠٢٣م.

(٣) الإلحاد في مواجهة نفسه – (ص: ٥١) .

إلى السلم والتعاون والوحدة.

٤. الإيمان في دين الإسلام يعطي المؤمن السكينة النفسية والاطمئنان القلبي لأنه إيمان مبرهن عليه عقليا ويتفق مع الفطرة الإنسانية، بخلاف الإلحاد الي يناقض العقل بإنكار الأسباب، واعتقاد العدمية التي تفرغ الحياة الإنسانية من المعنى والهدف.

٥. التربية الدينية في ظلال الإسلام تصنع أجيالا معتدلة في مواقفها من غيرها حيث تسالم من يسالمها وتعادي من يعاديها، والمسالمة هي الأصل في التعامل لديها، أما التلاعب بالعقول وتكوين الشخصية العدوانية فيأتي من فقدان الإيمان، وفقدان الغاية من الحياة، وانعدام معاني الخير والصلاح والإنسانية.

المبحث الثاني: مبررات استمرار تقديس العقل للدين .. عرض ونقد

تتكرر في مقولات الملحدين، دعوى أن الإلحاد نتيجةٌ منطقية لإعمال الفكر؛ ولهذا يتعجَّب أحدهم من استمرار ذوي العقول المستنيرة والمتعلمين على أديانهم، فقد كان من المتوقَّع - حسب رأيه- وقد اتَّسعت مداركهم أن يتركوا أديانهم وأن يُلحِدوا! ولذا كتب مقالا بعنوان (مبررات استمرار تقديس الدين)[١] وهو بذلك يريد أن يبرر للملحدين الواقع الصادم الذي يشهد بنقيض مسلَّمةٍ إلحاديّةٍ -عنده- مفادها منطقية الإلحاد ولا عقلانية الإيمان، وهذا النقيض هو استمرار مجموع المؤمنين على دينهم، مع أن الدين غير منطقي - في نظره.

يجيب الكاتب على سؤال لماذا وقد تقدَّم العلم يستمر المتعلمون في التدين مع أن الدين خرافة؟ ويبدأ في سرد ما يراه من مبررات استمرار تقديس العقول للدين رغم أنه خرافة كما يزعم، ويقسم الكاتب المبررات إلى نوعين: النوع الأول: مبررات نفسية عاطفية.

والنوع الثاني: مبررات عقلية.

فأما مبررات النوع الأول " فمنها الشعور براحة نفسية لعبادة ما ورثتَه، الدينُ ينظم حياتك، الدين يعطيك الأمل في حياة أخرى، الدين يعزز ارتباطك بأسرتك ومجتمعك "[٢] بما يعنى أن المتدين يتديَّن للراحة النفسيَّة والانسجام مع المجتمع بغض النظر عن صوابيَّة الإيمان من عدمها في حكم العقل.

وأما الثانية وهي المبررات العقليَّة للتديُّن فإن وجهتها ليست البرهنة على صحة الدين من عدمها، ولكنها تتجه إلى إثبات صحة المبرر العاطفي. يقول:

"وأما الثاني فهو مبرِّرَات عقليَّة تحاول من خلالها تثبيت إيمانك لاستمرار المبرِّر الأول

---

(١) مجلة الملحدين العرب- العدد الأول ص١٦.

(٢) السابق - العدد الأول ص ١٦

فالتَّبرير الثاني يقوِّي التبرير الأول من الناحية العقلية "[١]، يريد القول إن إيمان المؤمن ليس عن اقتناع، ولكنه شعور عاطفي، ودورُ العقل عند المتدين هو إثبات صحة هذا الشعور؛ لكي يجد لنفسه مبررا يستريح إليه. ومن ثم فإن الدين عنده: مبني على عاطفة مضادة للعقل، والمؤمن يسعى للبرهنة على صحة هذه القضية الخاطئة.

ويضرب مثلا بعابد الأوثان الذي يحاول إيجاد المبررات العقلية ليثبت لنفسه صحة خرافته، حيث يجمح به خياله إلى توهم أن الحجارة التي يعبدها كانت أصل الحياة لأن الكون نشأ من الانفجار العظيم وكانت الحجارة كامنة فيه ومن هنا فإن (العلم) يثبت صحة عبادة الحجارة، وهكذا يبرر خطأ اعتقاده بالتمسُّح في أذيال (العلم) ليستريح من عذاب الشك، ونوبات الرعب التي تنتابه عندما يفكر في العذاب الذي ينتظره إذا كانت عقيدته خاطئة[٢] ومعنى هذا أن كل المتديِّنين ينطبق عليهم ما ينطبق على هذا الوثني المختلِّ عقليا لا يبحثون في البراهين العقليَّة التي تثبت صحة إيمانهم أو تبطله، ولكنهم يبحثون عن مبرر عقلاني لموقفهم النفسي المطمئن إلى عقائدهم الدينية غير المنطقية.

---

(١) السابق – العدد الأول ص١٦.

(٢) يقول في مَخْرقة عجيبة: " هنا أنت ورثتَ تلك الأسطورة وسوف تبقى تدافع عنها فلا يوجد دليل ينفيها فأنت لا ترى الآلهة في الحجارة لأنها أرواح لّا تُرى كما قالوا لك وفي نفس الوقت فأنت تخاف من أن تُمسخ إلى حجارة من نار للأبد. هنا ستبحث عن أمور عقلية للرد على المشككين في ديانة عبادة الحجارة فتقول ديانتي صحيحة وموافقة للعلم فالحجارة هي أصل الحياة. العلم يقول إن الكون أتى من الانفجار العظيم والآلهة التي كانت تسكن المادة التي انطلق منها الانفجار العظيم والذي بعد أن برد تكونت الأرض ثم الحياة كانت بإرادة تلك الآلهة والتي كانت تسكن الحجارة ومن ثم خلقت كل شيء ورجعت لمسكنها وأمرتنا من خلال النبيِّ الموحَى إليه باستمرار تقديسِها وبالطبع ستبقى تعيش بتلك الدائرة ربما إلى نهاية حياتك" مجلة الملحدين العرب– العدد الأول ص ١٦، ١٧.

وخلاصة القول إن الكاتب يزعم أن الدين لا يقوم على العقل وإنما العاطفة والراحة النفسية، وأن المتدين يستعمل عقله ليبرر إيمانه الخاطئ من الأصل.

نظرة نقدية:

يلاحظ أن الكاتب أقام حجته على أن الأصل في بناء المعتقدات هو الشعور النفسي، وأن الاطمئنان القلبي لا يمكن أن يكون صوابا. أبدا.. وهذا أمر يحتاج لمناقشة، فلو افترضنا – جدلا – أن الدين يقوم على قناعة نفسية عاطفية فهل معنى ذلك أن ما يقوم على القناعات النفسية والعاطفية لا يوثق به ولا يتَّفق مع العقل؟ هذا ليس صحيحا؛ حيث إن منجزات العلم التجريبي إنما تدفعها قناعات نفسيَّة في المقام الأوَّل، ومع ذلك تَثبُت صحتُها بحركة العقل وتقوى وتترسخ وتصير حقائق مسلمة، فإذا كانت القناعات النفسية في بدء إثبات الحقائق مانعة من تقبلها ابتداء فعلى الذي يزعم ذلك أن يرفض منجزات العلم التجريبي. وأستشهدُ هنا بقول (بول فيتز)[١] عالم النفس بجامعة نيويورك:

" إذا كانت دوافع الإيمان نفسية فذلك ليس مبررا لعدم الوثوق به، ذلك أن كل الإنجازات العلمية الحضارية دوافعها نفسية، فقد سعى الإنسان لتحقيقها لتدعمه ضد تحديات الطبيعة (كالدين عند فرويد) فهل معنى ذلك أنه لا يمكن الثقة بهذه الإنجازات؟! "[٢].

---

(١) بول كلايتون فيتز من مواليد ٢٧ أغسطس ١٩٣٥م عالم نفس أمريكي وهو باحث أول في جامعة الرحمة الإلهية في ستريلينج بولاية فيرجينيا هو أستاذ علم النفس الفخري في جامعة نيويورك. يركز عمله بشكل أساسي على العلاقة بين علم النفس والمسيحية من مؤلفاته: علم النفس كدين، سيكولوجية الإلحاد . ينظر: https: //cutt.us/pAt٣D تاريخ المشاهدة ١٢ إبريل ٢٠٢٣م.

(٢) خرافة الإلحاد – د عمرو شريف – ص٨٤.

ويرى الفيلسوف الإنجليزي (كارل بوبر) [١] "أن النظريات العلمية قد تكون في بداية أمرها نظريات ميتافيزيقية [غيبية] غير أنها تتحول تدريجيا لتصبح في نهاية المطاف فروضا علمية " [٢]

ويقول كارل بوبر أيضا: "إن كل نظرية من هذه النظريات الميتافيزيقية تصلح - قبل أن تصبح قابلة للاختبار- كخطة بحث من أجل الوصول إلى العلم. فهي تحدد اتجاهنا في البحث، وتدلنا على نوع من التفسير الذي يلقى قبولا لدينا وتمكننا من الحكم على مدى عمق النظرية"[٣].

هذا فضلًا عن كون العلم التجريبي كلِّه قائما على قناعة نفسية بنظام الكون المتناسق الدقيق " ويؤكد الفيزيائي بول ديفيز[٤] -وهو لا يصنَّف من المتديِّنين- هذا المعنى قائلًا:

" إن التوجُّه العلميَّ الصحيح موقفٌ ديني! فالعلم لا يعمل إلا من خلال نظرة تؤمن بانضباط الكون، وهذا موقف ديني، وبدون الالتزام بهذا الإيمان يتوقف العلم، بل وينهار" [٥]

---

(١) كارل ديموند بوبر فيلسوف نمساوي إنجليزي متخصص في فلسفة العلوم ولد في فيينا ٢٨ يوليو ١٩٠٢ ومات في لندن ١٧ سبتمبر ١٩٩٤م، يصنف نفسه على أنه لا أدري، ويعتبر أحد أغزر المؤلفين وأهم من كتب في فلسفة العلم في القرن العشرين. ينظر ويكيبيديا https://cutt.us/LCfNe تاريخ المشاهدة ١١ إبريل ٢٠٢٣م.

(٢) فلسفة العلم في القرن العشرين، دونالد جيليز، ترجمة: د: حسين علي، ط مكتبة الأسرة ٢٠١٠، (ص: ٤٤٩).

(٣) فلسفة العلم في القرن العشرين - دونالد جيليز- ص٤٥٠.

(٤) بول تشارلز وليام دافيس Paul Charles William Davies: عالم فيزياء بريطاني مشهور ولد في ٢٢ إبريل ١٩٤٦ م، مؤلف ومقدم برامج، وحاليًا أستاذ جامعي في جامعة ولاية أريزونا ومدير مركز بيوند Beyond مركز المفاهيم الأساسية في العلم . يراجع ويكيبيديا: https: //cutt.us/lQPsX تاريخ المشاهدة ١١ إبريل ٢٠٢٣.

(٥) خرافة الإلحاد- عمرو شريف - ص ٨٣.

ويقول د. تشارلز هارد تاونز[١]: "أصبح الإيمان في العلم شيئا تلقائيا، حتى لم يعد يراه الناس، ففي العلم إيمان بأن للكون نظاما يمكن للعقل البشري فهمه. وهذا الإيمان ليس قديما وإنما نشأ منذ قرون عديدة وإذا لم يكن للمرء هذا الإيمان فإنه يلقى نفسه في وسط الخرافات التي تقوم على عدم وجود نظام للكون. ولكننا لا نستطيع أن نثبت بأي طريق أساسية أن الكون منظم ومنطقي، ولكن هذا شيء لا يمكن إثباته، إنه في حقيقة الأمر إيمان...يبدو أن له ما يبرره"[٢].

ومن هنا نؤكد أن الإنسان كيان متكامل لا يمكن الفصل بين عاطفته وعقله، ومن المحال أن نتصور أن الإنسان يمكنه أن يُعمل عقله في البحث والنظر مع تجاوز الإلهام وتخطى الشعور.

وإذا كان العلم يبدأ بالإلهام والشعور والحاجة النفسية ثم يعمل العقل عمله في تأكيد هذا الإحساس والبرهنة عليه فإن الدين الحقَّ فطرةٌ فطر الله الناس عليها ثم تؤيِّده براهين العقل ودلائل البحث. يقول كارل جوستاف يونج[٣]: "إننا كبشر تحركنا الرغبة الفطرية في أن نجد إلها

---

(١) تشارلز هارد تاونز: (Charles Hard Townes) هو معلم وعالم فيزيائي أمريكي، حاز جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٦٤م. ولد تشارلزتاونز في ٢٨ يوليو ١٩١٥ينتمي إلى كنيسة المسيح المتحدة وكان يعتقد أن العلم والعلوم متوازيان مع الدين وانهما متطابقان أكثر مما يظن كثير من الناس وعلى المدى الطويل يجب أن يلتقيا. توفي في٢٧ يناير ٢٠١٥. يراجع ويكيبديا https://cutt.us/Tw٩w١ تاريخ المشاهدة ١١ إبريل ٢٠٢٣م.

(٢) عن كتاب: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية – د: يحيى هاشم حسن فرغل– طبعة دار الآفاق العربية بالقاهرة – ٢٠٠٧م– (ص: ٦٧)

(٣) كارل جوستاف يونج: ولد في سويسرا عام ١٨٧٥م درس الطب ثم تخصص في التحليل النفسي حتى برز فيه، اتفق مع سيجموند فرويد في بدايته لكنه اتفصل عنه بعد ذلك بسبب آرائه . ينظر: نظريات الشخصية ك

=

وأن نؤمن بقوة عليا "[١].

كما أن الدين ليس موقفا عاطفيا شعوريا وحسب، كما يصوره كاتب المقال، بل إن الدين – وأعني هنا الإسلام– يعرض أدلته العقلية ويبرهن عليها ويستحث عقل الإنسان للبحث والنظر قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[٢] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[٣] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾[٤]

ليس هذا فحسب، بل إنه في مجال البحث الكوني يتقدم الإسلام خطوة أبعد حيث "لفت النظر إلى الاختلاف البديع مع اتحاد العوامل البيئية، قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٥]، وعلى الإنسان أن يعمل عقله وأدواته البحثية ليصل إلى الخالق الذي أبدع هذا الإعجاز.

ومن الأدلة التي يقدمها الدين على صحته، دعوتُه إلى التفكر في ظاهرة الحياة ما هي؟ ما سرها؟ كيف بدأت؟ كيف تستمر؟ لما تتوقف موتا دون معرفة سبب ظاهر؟ إن القرآن الكريم يُعنى " عناية خاصة.. بظاهرة الحياة التي حيرت العلماء فيقول الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ

=

هول، ح ليندزي، ترجمة فرج أحمد فرج وزميليه ص١٠٨، ١٠٩ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

(١) الإلحاد مشكلة نفسية – عمرو شريف –ص ٣٠٥.

(٢) سورة ق الآية: ٦.

(٣) سورة الغاشية الآية ١٧.

(٤) سورة القصص الآية: ٧١.

(٥) الدين – د محمد عبد الله دراز – ص ١٥٩ والآية من سورة الرعد: رقم: ٤.

بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [١] ويقول: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [٢] ويقول: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣] " [٤]

كل هذه الظواهر يعرضها الدين على العقل ليصل من خلالها إلى نتيجة مقنعة، ولا يقدم الدين نفسه في ثوب العاطفة والشعور فقط كما يدعي هذا الكاتب.

بل إن القرآن الكريم قد أثار قضية الوجود والعدم إثارة عقلية خالصة لينتهي من عرضها إلى حتمية الإيمان بخالق الكون ﷻ فقد "لفت العقول إلى خلاصة دلالة الحادِث على المحدِث كما يقول المتكلمون -أو دلالة الممكن الوجود على الواجب الوجود - كما يقول الفلاسفة- في آية قصيرة من آياته الكريمة، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [٥] إن الجزء الأول من هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ يقرر عن طريق الاستفهام الإنكاري استحالة أن يجيء الوجود من العدم، أي استحالة أن يجيء شيء هكذا من غير سبب موجد، وهذا الجزء تعبير بالغ الدقة عن قضية قلبية مركوزة في طبائع الموجودات كلها وأعني بها قضية السببية، وهي ذات القضية التي عبر عنها المتكلمون بقولهم: كل حادث لا بد له من محدث"

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨.

(٢) سورة الواقعة الآيات من ٥٨ حتى ٦٤.

(٣) سورة الروم الآية: ٥٠.

(٤) الدين - د دراز - ص ١٥٩، ١٦٠- بتصرف يسير.

(٥) سورة الطور الآية: ٣٥.

وعبر عنها الفلاسفة بقولهم (كل ممكن فله علة)، أما الجزء الثاني من الآية الكريمة: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ فإنه يقرر بطريق الاستفهام الإنكاري استحالة أن يخلق الشيء نفسه؛ أي يقرر ضرورة المغايرة التامة بين مفهوم "الخالق" ومفهوم "المخلوق" فلا يصح في منطق العقول أن يكون المخلوق خالقا كما لا يصح أن يكون الخالق مخلوقا" [(١)]، أليس في هذا خطابا للعقل وتحديا له؟ فكيف يقال إن الدين يقيم نفسه على أساس عاطفة كاذبة ليس غيرها؟

ومما لا يصح تجاهله في هذا المقام أن الدين لا يكتفي بعرض أدلته العقلية، بل إنه دعا إلى تحرير العقل من كافة القيود التي تعرقل عمله مثل تأثير العقل الجمعي على الفرد " أما كيف تتحرر العقول من هذا الأسر الاجتماعي القاهر، فإن القرآن يعلم أن ليس لذلك إلا وسيلة واحدة وهي التفكير الفردي الهادئ، المتحرر من كل القيود إلا قيود البداهة والمنطق السليم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾[(٢)].

وتعليقا على قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[(٤)] يقول الشيخ محمد الغزالي:

" والمطالبة بالبرهان في هاتين الآتين ليست أكثر من عرض لإعادة النظر في المواريث

---

(١) مقومات الإسلام – د. أحمد الطيب (شيخ الأزهر) – هدية مجلة الأزهر عدد شوال ١٤٤٢هـ يونية ٢٠٢١م (ص: ٤٨، ٤٩).

(٢) الدين – د. دراز – ص ١٦٢. والآية الكريمة من سورة سبأ رقم ٤٦.

(٣) سورة الأنبياء الآية: ٢٤.

(٤) سورة النمل الآية: ٦٤.

الفكرية السائدة حتى ينبذ الإنسان منها ما لا دليل عليه وحتى يتخلص الإنسان من قيود الوهم التي تشل قدرته، وتضلل غايته"[١].

وبناء على ما تقدم فإن الدين (الإسلام) لا يقوم على عاطفة خادعة تتحطم بمعول العقل كما يصورها الملحدون؛ لأنه يعرض نفسه مخاطبا العقل والفطرة مقدما براهينه، بل كان مهاجما قويا لمن خالفه، كما أن المؤمن لا يسعى بعقله لإثبات قضية عاطفية خاطئة. إنما يسعى لتثبيت إيمانه الذي اقتنع به من الأصل بالبرهان والعقل كما تعلم من كتابه: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٢].

وإذا كان الكاتب يتساءل عن مبررات استمرار تقديس العقل للدين فالإجابة في كون "الدين منذ نشأة البشرية وحتى الآن.. يشبع احتياجات الإنسان الرئيسية، خاصة النفسية والانفعالية، سواء كان الدين صوابا أو خطأ وهو ما لا يحققه العلم ولا الفلسفة. كذلك فإن الدين هو القادر على الإجابة عن الأسئلة الوجودية التي يعجز أمامها العلم والفلسفة، مثل: من نحن؟ لماذا نحن هنا؟ ماذا بعد الموت؟ كيف نشعر بالأمان والحب؟ وهكذا.. ومن ثم فإن الدين هو الأقدر على التعامل مع المفاهيم الذاتية النفسية والانفعالية والمعرفية، ومن ثم فهو يغني حياتنا، بل يحكمها لذلك لا يزال هناك دين"[٣] أما الإلحاد فينزع إنسانية الإنسان ويجعله حفنة من تراب ليس لوجودها معنى، ولا غاية.

بل إن المؤمن – هنا– هو الأولى بالتعجب من إلحاد الملحد مع تقدم العلم التجريبي وتعظيمه من ربط الأسباب بمسبباتها، وتفسير المعلولات بعللها، وقد ساق ذلك أشرس

---

(١) ركائز الإيمان بين العقل والقلب، الشيخ محمد الغزالي، طبعة دار الشروق، مكتبة الأسرة ٢٠٠١م. ص ٣١.

(٢) سورة البقرة من الآية: ١١١و سورة النمل من الآية: ٦٤.

(٣) الإلحاد مشكلة نفسية – د. عمرو شريف– ص ٣١١.

الملاحدة إلى الإيمان[١] فقد كان من المتوقع حينئذ أن يعود الملحدون إلى حقيقة الإيمان، وأن يلجأوا إلى ظلاله الوارفة.

* والخلاصة:

١. أن القناعة النفسية عامل مشترك بين القضايا الصحيحة للدين والعلم التجريبي، فكلاهما يبدأ بها ثم تقوم عليها البراهين التي تؤيدها، ولذلك فإنه من الخطأ ادعاء أن الدين شعور نفسي يعوزه الدليل، ومن الخطأ ادعاء أن العلم برهان عقلي في غنية عن الاقتناع النفسي.

٢. يمتاز الإسلام بتركيزه على الدليلين الفطري والعقلي في إثبات صحته، فيدعو إلى العودة للإيمان من حيث هو الفطرة النقية التي فطر الله عليها الإنسان، ومن حيث هو - أي الإيمان- قضية مبرهن عليها بالعقل مع التركيز على إعمال العقل وتحريره من كل معوقات التفكير الصحيح.

---

(١) يراجع كتاب: هناك إله كيف غير أشهر ملحد رأيه؟ وفيه يحكي انتوني فلو الأسباب التي جعلته يترك الإلحاد ويعود إلى الإيمان- ترجمة الدكتور صلاح الفضلي- الكويت - الطبعة الأولى -١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

المبحث الثالث: دعوى قيام الدين على التلقين والوراثة[١] .. عرض ونقد

في مقال بعنوان: (الإلحاد وعلاقته بالقيمة الإنسانية الحريات الشخصية، والمواطنة) يزعم الكاتب أن الإلحاد موقف فكري عقلي تطوَّر فيه صاحبُه حتى ألحدَ وأما الإيمان فإنه موقف اجتماعي تلقنه صاحبه دون اختيار واتَّبَعه بناء على أن السلامة في اتباع القطيع دون تفكير، ومن هنا فالكاتب يدعو المؤمن إلى أن يشك في عقائده التي ورثها، وأن يتشكك في دينه الذي نشأ فيه، لا ليتخذ موقفا إيجابيا فيثبت على إيمانه أو سلبيا فيرتد عنه على حسب ما يقوده التفكير السليم. لا.. ولكنه مدعو إلى الشك ليكفر بالإيمان، ويلحد؛ فالإلحاد - كما يزعم- خلاصة الفكر، وزبدة التعقل، ولباب التمحيص، ونتيجة التجرُّد! يقول:

"إن الإلحاد وكما أراه هو خلاصة فكريّة ذات مرجعيّة عقليّة تنظر بعين التجرد والرصد والتمحيص والنقد والشك لكل ما هو موروث من القناعات والعقائد التي يتم شحن الإنسان بها لا شعوريا منذ اللحظة الأولى التي يحظى بها بإدراك بسيط ويحدث هذا كله دون أن يكون له أدنى قرار أو رأي في اعتناقها ومن دون أن يكون هناك أدنى إرادة أو رأي ويحدث كل ذلك بحكم ضغط القيم الجمعية وحضور مبدأ (اقتران صحة الأمور بكثرة المنادين بها أو المعتنقين لها) وهنا تكمن فضيلة الإلحاد الأولى وهي اعتماد النشاط العقلي ورفض التلقين الغير خاضع للرقابة المنطقية"[٢].

---

(١) في المبحث الأول كانت دعوى الكاتب هناك عن كون الدين مادة للكراهية والعنف يلقنها الأبوان للناشئة، أما دعوى الكاتب هنا فتختلف حيث يزعم أن قضية الدين كلها غير عقلية وأنها مجرد موروث عقدي لم يتح لأصحابه أن يفكروا في صحته.

(٢) مجلة الملحدين العرب العدد الثاني- الرابط: https://cutt.us/eBC٦ مقال بعنوان: الإلحاد وعلاقته بالقيمة الإنسانية الحريات الشخصية، والمواطنة- ص ١٢.

وخلاصة ما يزعمه الكاتب في هذه الفقرة أن الإلحاد نتيجة للتفكير النقدي. وقد عضد هذه الفكرة بحشد من الألفاظ الموهمة (خلاصة فكرية ذات مرجعية عقلية تنظر بعين التجرد والرصد والتمحيص والنقد والشك)، وأن العقيدة تلقن للناشئ دون أخذ رأيه فيها ورغما عن إرادته.

نظرة نقدية:

فأما كون الإلحاد نتيجة للتفكير النَّقدي فغير مسلم به؛ فليس كلُّ تفكير نقدي صحيحا إذ ما الذي يمنع أن يكون الوصول لمرحلة الإلحاد هو الخطأ في التفكير، والضلال عن جادة المنطق؟ ولماذا يفترض الكاتب أن الوصول إلى الإلحاد هو النتيجة الطبيعية للعقلية التي (تنظر بعين التجرد والرصد والتمحيص والشك)؟ ولماذا لا يكون الإيمان هو النتيجة الصحيحة للعقلية التي (تنظر بعين التجرد والرصد والتمحيص والشك)؟ وقد أشار الكاتب أنه يعبر عن تجربة خاصة عندما قال في بدء كلامه (إن الإلحاد وكما أراه) وما كان كذلك لا يمكن تقعيده ولا تعميمه.

إضافة إلى ما سبق فإن الإيمان بوجود الخالق ﷻ هو النتيجة الصائبة للعقلية التي (تنظر بعين التجرد والرصد والتمحيص والشك) لا سيما وقد دعا الله تعالى المنكرين إلى التخلُّص من كل معوقات التفكير الصائب كالتقليد الأعمى وتأثير العقل الجمعي، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾[1] وطالب بتقديم الحجة والبرهان، قال تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ**﴾[2] وأرشد إلى كون الظن ليس دليلا يعتمد عليه في معرفة الحقائق فقال الله تعالى: ﴿**وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ**

---

(١) سورة سبأ الآية: ٤٦.

(٢) سورة الأنبياء الآية: ٢٤.

﴿شَيْئًا﴾[١]، فهذه هي أسس النظرة التي يعتمد عليها المؤمن في بحثه عن الحقائق المنشودة، فهي عنده دين واجب الاتباع، وتكليفٌ واجب التَّنفيذ وليست مجرد حشد من الألفاظ الجوفاء.

ودعوى الإيمان بالله تعالى قامت الأدلةُ على صحتها عند عقلاء البشر، فقد طبعت العقول على أن لكل موجود موجِدا ويستحيل أن يوجِد الشيء نفسه كما يستحيل أن يوجَد شيء بلا مُوجِد، قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[٢]. فالسببية حجة يقدمها الإيمان على صحته فما الذي قدمه الإلحاد بَعْدَ نظرِه، ورصده، وتمحيصه، وشكه؟ لا شيء، إلا قولَه يوجد الإنسان الذي لم يخلق نفسه ثم يتخبط في تفسير علة وجوده، ويوجد كون منضبط في اتساق دقيق ويسير إلى غاية، ولكن لا أحد يضبطه ويُسيِّره إلى غايته، أو يتخذ بعضهم من قول لا أدري اتجاها يسميه (اللاأدرية)[٣] كتعبير عن عجزه عن التفسير أو يوجد موجد للكون لا نعرفه

---

(١) سورة النجم الآية: ٢٨، وفي سورة الأنعام يعيب مرتين على الخصوم أنهم يتبعون الظن، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الأنعام الآية ١١٦ وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ الآية: ١٤٨.

(٢) سورة الطور الآية: ٣٥.

(٣) اللاأدرية: عند القدماء فرقة سوفسطائية تقول بالتوقف في وجود كل شيء وعلمه. قالوا: اذا كان الشك يتطرق الى الحسيات، والبديهيات والنظريات، كان من الواجب على العاقل أن لا يقطع في شيء. المعجم الفلسفي - جميل صليبا (ج٢ ص٢٥٨) - وهي إحدى الفرق الإلحادية الثلاث الكبرى (الإلحاد، والربوبية، واللاأدرية) وتتميز عن غيرها من الفرق بأنها لم تجزم بوجود خالق ولم تنف وجوده بل تجعل كل الاحتمالات قائمة. ينظر: إما الإيمان وإما الفوضى، د. هيثم طلعت، ط. الأولى، دون تاريخ، ص١٠١.

ولا علاقة له بالكون وهم (الربوبيون) [١] الذين أعجزتهم حقائق المنطق أن ينكروا وجود الله تعالى، فصدَّقوا بوجوده، ثم كذبوا الرسل، وأعرضوا عن الشريعة الإلهية، هذه هي حصيلة الإلحاد بعد إنكاره اللامنطقي لقانون السببية.

وأما القضية الثانية وهي نعيه على المؤمنين بالله تعالى تلقين العقائد للناشئة دون أخذ رأيهم فيها ودون إرادة منهم، فقضية تخالف البديهيات الطبيعية المشتركة بين الناس جميعا وما كان كذلك فلا يُلتفت إليه، فقد طُبع الإنسان على تعليم أبنائه ما ورثه من عقائد، وما رِبِيَ فيه من عادات وقيم، ومن المستحيل تصور أسرة تملأ هذا الواجب بالفراغ وتترك أبناءها هَمَلا لا يعلمونهم شيئا حتى يبلغوا مبلغ التعقل والتفكر فيخيرونهم بين الإيمان والكفر ولهم بعدُ ما يختارون! هذا لا يمكن تصوره حتى في حالات الأسر الملحدة، ولقد سبق - في المبحث الأول- الاستشهاد بأثر الملحدين على أبنائهم في حالتي جون ستيورات مل الذي لم يترك له والده خيارا بين الإلحاد والإيمان فكان جون ملحدا ابنَ ملحد وكذلك سيمون دي بوفوار التي جعل لها والدها الأرض مهادا حتى ألحدت.

الإلحاد والمنطق:

وفي هذه المقالة يحاول الكاتب أن يُمنطق الفكرة الإلحادية بالتمسح في أفلاطون الذي يشترط في العلم (أن يكون المعلوم قضية منطقية صحيحة) وبناء عليه فإن قضية الوجود الإلهي - عند الكاتب- ليست منطقية وليست صحيحة، هكذا بقفزة واحدة جعل قضية الإيمان خيالا

---

(١) هذا النمط من الإلحاد يشبه معتقد كفار قريش حيث أقروا بوجود الله ثم كذبوا النبي (ﷺ). قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ سورة العنكبوت الآية: ٦١ فيقرون بوجود الله ولا يعترفون بالدين . ينظر: خرافة الإلحاد - د عمرو شريف- الطبعة الأولى- ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م - مكتبة الشروق الدولية - (ص: ٣٦٩)

وليست علما وجعل قضية الإيمان دعوى لا دليل عليها. يقول:

" الإلحاد بمفهومه العام هو وصف لأي موقف فكري لا يؤمن بوجود إله واع لهذا الوجود، أو بوجود (كائنات) مطلقة القدرة (الآلهة)، والإلحاد بمعناه الواسع هو عدم التصديق بوجود هذه الكائنات (الآلهة) خارج المخيلة البشرية. لأن شرط العلم (بحسب أفلاطون) هو أن يكون المعلوم قضية منطقية صحيحة، مثبتة، ويمكن الاعتقاد بها ولما كان ادعاء وجود إله بحسب الملحد غير مثبت، فإن التصديق بوجود إله ليس علما وإنما هو نمط من الإيمان الشخصي الغير قائم[(١)] على أدلة، وما يقدم بلا دليل يمكن رفضه بلا دليل. ومن هنا فإن الإلحاد الصرف هو موقف افتراضي، بمعنى أنه ليس ادعاء وإنما هو جواب على ادعاء بالرفض"[(٢)].

---

(١) الصواب: غير القائم، لأن (أل) تدخل على المضاف إليه . قال تعالى في سورة الفاتحة: (غير المغضوب عليهم) .

(٢) مجلة الملحدين العرب- العدد الثاني- مقال بعنوان الإلحاد علم أم منطق- ص ٧٣. ويضرب مثالا على عدمية دليل الإيمان بدعوى أن المؤمن لا يستطيع أن يقدم دليل إيمانه وكل ما يمكنه هو دعوى أن عدم العلم بالشيء لا يعني عدم وجوده فهذا الدليل السلبي فقط هو دليل المؤمن، ولكنه يعجز أن يقدم دليلا ثبوتيا للملحد فيقول:

"إذن عندما يأتي إليك شخص ويدعي أن فلانا اشترى منزلا دون أن يطلعك على أوراق ثبوتية ومستندات تثبت هذا الادعاء.. فمن المنطقي ألا تصدق أو تعتمد على هذا الادعاء في قراراتك وحتى إن كان هذا الادعاء حقيقة وحتى إن لم تستطع نفيه. لكن مع الأسف المتدينون لا يفهمون أو لا يريدون أن يفهموا هذه القاعدة المنطقية ويكون جوابهم دائما "عدم العلم بالشيء لا يثبت نفيه". رغم أن الملحد لا يحاول نفي شيء بقدر ما يطالب به من برهان على ادعاء يفرض عليه بالقوة أحيانا من غير برهان أو بينة، بل أساطير وأقاويل ما ورا الطبيعة وقوانينها مجلة الملحدين العرب- العدد الثاني- مقال بعنوان الإلحاد علم أم منطق- ص ٧٣.

نظرة نقدية:

وما عليه مدار الكلام هنا هو أن (وجود الله تعالى دعوى بلا دليل). وليس هناك أسهل من إطلاق الدعاوى وتجاهل الحقائق الواضحة لمن يريد التشنيع والتشويه والتعالِي والهجوم لمجرد الهجوم وحسب، ففي الوقت الذي يحاول فيه زملاؤه الملاحدة -يائسين- إبطال أدلة المؤمنين بالله على وجوده تعالى[١]، ويحاولون -بلا جدوى- أن يشككوا في هذه الأدلة يأتي هذا الكاتب ليقول إن الإيمان بالله ليس عليه دليل وليس قضية صحيحة مثبتة وأن المؤمنين لا يفهمون هذا! فضلا عن الأدلة المعروضة في القرآن الكريم[٢] في وضوح ومنطقية عميقة ومعروضة في كتب

---

(١) كتب أحدهم ويدعى (Raed Aalabsy) ثلاثة مقالات في أعداد متوالية من المجلة هي الرابع والخامس والسادس بعنوان (غياب الدليل.. الدليل الكوزمولوجي) حاول فيه بطرق يائسة بائسة أن يشكك في دليل السببية- الرابط https://cutt.us/vhdAg

(٢) مثل دليل الفطرة ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**﴾ سورة الأعراف الآيتان: ١٧٢، ١٧٣. وعن هذا الدليل يقول أبو حامد الغزالي: " ..فإن ذلك كان مجبولا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفي عنفوان شبابهم ولذلك قال ﷻ: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ**﴾ سورة الزمر من الآية قواعد العقائد – أبو حامد الغزالي – نشر عالم الكتب – الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م – تحقيق موسى محمد علي – (ص: ١٥١) .

ودليل السببية في قوله تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ سورة الطور الآية: ٣٥، والأدلة في توجيه النظر النفس والكون كقوله تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾ سورة الذاريات الآيتان ٢٠، ٢١ وغير هذه مما يصعب حصره وكله يثبت أن الله موجود وأنه الخالق الذي نسب الخلق لنفسه ولم ينازعه فيها أحد فثبت وجوده تعالى ثبوتا واجبا.

علماء الكلام[١] وعند الفلاسفة المؤلهين[٢] ومع هذا فإن الكاتب لا يعتبرها شيئًا.

ومن العجب أن الكاتب يستدل بما ينسبه من قاعدة منطقية لأفلاطون على إنكار وجود الله تعالى مع أن أفلاطون كان مؤلِّها معترفا بوجود خالق للكون، حيث إنه " لما رأى استحالة أن تكون في طبيعة المُثل[٣] قابليةَ إنتاجِ الأشياء لم يجد أمامه إلا تعليلا واحدا يفسر به ذلك، فقال

---

(١) ينظر على سبيل المثال: قواعد العقائد لأبي حامد الغزالي حيث عرض دليل الفطرة والدليل العقلي الصفحات من ١٥١ حتى ١٥٥ – مرجع سابق، وينظر: غاية المرام في علم الكلام– أبو الحسن الآمدي – تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف– طبعة لمجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة يقول: "ومبدأ النظر ومجال الفكر ينشأ من الحوادث الموجودة بعد العدم فإن وجودها إما أن يكون لها لذاتها أو لغيرها لا جائز أن يكون لها لذاتها وإلا لما كانت معدومة وإن كان لغيرها فالكلام فيها وإذ ذاك فإما أن يقف الأمر على موجود هو مبدأ الكائنات ومنشأ الحادثات أو يتسلسل الأمر إلى غير النهاية فإن قيل بالتسلسل فهو ممتنع" (ص: ٩) وغير هذا كثير في كتب علم الكلام والكاتب يتجاهله كله وكأنه غير موجود!

(٢) يعتمد الفلاسفة في إثبات وجود الله تعالى على دليل الإمكان وخلاصته أن وجود الممكنات – وهي ما يسبق وجودها عدم أو يعقب وجودها عدم – يستحيل أن نصدق انها أوجدت نفسها من العدم ولكن المشاهد أن هذه الممكنات توجَد بعد أن لم تكن شيئا وهذا يدل بالضرورة على وجود من هو واجب الوجود الذي لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم وهو الله تعالى موجد هذه المخلوقات ولا يمكن أن ندعي أن ممكنا آخر هو الذي أوجدها لأنه سيحتاج إلى من يرجح وجوده، وهكذا يكون تسلسل إلى ما لا نهاية . ينظر: مقومات الإسلام – د أحمد الطيب– ص ٤٢، ٤٣.

(٣) المُثل: جمع مثال وهو عند أفلاطون: صورة مجردة من الموجودات في عالم الإله لا يلحقها تغير ولا نقص ولا فساد، يوضح الفارابي معناها بقوله: «إن افلاطون في كثير من أقاويله يومئ الى أن للموجودات صورا مجردة في عالم الاله، وربما يسمّيها بالمثل الالهية، وأنها لا تندثر، ولا تفسد، ولكنها باقية، وان الذي يندثر ويفسد إنما هو هذه الموجودات التي هي كائنة» يراجع: المعجم الفلسفي – جميل صليبا – نشر الشركة العالمية للكتاب – بيروت – ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م –ج٢ ص ٣٣٥. ومع فساد هذا التصور في =

إن ثمت خالقا ومدبرا للعالم"[١] وعنده أن "الله هو المحرك الأول الذي لا يتحرك أو روح العالم يحرك كل شيء وينظمه حسب القوانين والأشكال الأزلية"[٢].

ومهما يكن من خطل في اعتقاد أفلاطون عن الله -سبحانه- فإنه اعترف بوجوده ولم ينكره، فهذا هو أفلاطون الذي استدل الكاتب بقوله إن شرط العلم (أن يكون المعلوم قضية منطقية صحيحة ومثبتة)؟ ها هو ذا توصل بمنطقه إلى وجود خالق أول، وتوصل إلى عجز المخلوق عن الخلق من عدم.

استدلال الكاتب بتنوع الملحدين على صحة الإلحاد:

وبعد ادعاء أن الإيمان دعوى عارية عن الدليل ذهب كاتب المقال يستدل للإلحاد بأن بعض الأشخاص في العالم اتبعوا منهجا واحدا في التفكير، وأنهم وصلوا إلى أنه ليس هناك إله، وهذا أكبر دليل- عنده- على صحة الإلحاد! يقول:

"الإلحاد يثبت نفسه من خلال أن هناك عدة اشخاص في عدة أماكن في العالم اتبعوا نفس المنهج في التفكير من دون تنسيق أو اتصال مسبق بينهم فوصلوا إلى نفس النتيجة، وهذا بحد ذاته أكبر دليل على أن الإلحاد هو طريق التفكير السليم وليس كما نراه في الأفكار الدينية التي خضع أصحابها لموقعهم الجغرافي وانطووا تحت مؤثرات أعراف ذلك الفكر السائد في مجتمع معين يختلف باختلاف المجتمع والرقعة الجغرافية"[٣].

=

العقيدة الإسلامية إلا أن موضع الشاهد هنا أن أفلاطون أثبت وجود إله لأنه رأى عجز هذه المثل المجردة عن إيجاد الأشياء فتوصل إلى القول بوجوب وجود خالق لهذه المثل.

(١) قصة الفلسفة اليونانية - د. زكي نجيب محمود، و د. أحمد أمين - نشر مؤسسة هنداوي - ٢٠١٨ - ص١١٠

(٢) قصة الحضارة - ول ديورانت - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب - مكتبة الأسرة- ٢٠٠١م - المجلد الرابع- الجزء السابع- ص ٤٧٩.

(٣) مجلة الملحدين العرب - العدد الثاني-ص ٧٤.

وقد أثار الكاتب في الفقرة السابقة قضيتين:

- القضية الأولى: الإلحاد يثبت نفسه لوجود ملحدين مختلفين جغرافيا اتبعوا نفس منهج التفكير فوصلوا إلى النتيجة نفسها (الإلحاد) .
- القضية الثانية: الإيمان ناتج عن وراثة العقائد جغرافيا ولا يقوم على التفكير.

نظرة نقدية:

أما كون الإلحاد يثبت نفسه فهو إثبات وجود لا إثبات صحة وليس كل موجود صحيحا ففي الدنيا حق وباطل وكلاهما موجود، ويبقى إثبات الصحة مرهونا بالحجج والأدلة.

وأما أن الإلحاد صحيح لأنه نتيجة لتفكير أشخاص متفرقين في بقاع شتى يفكرون بنفس الأسلوب، فإن الإيمان كذلك في كثير من أحواله نتيجة لتفكير فرقاء مختلفين من ذوي الفكر والثقافة ممن لم ينشأوا في بيئات مسلمة ومنهم:

ليوبولد فايس النمساوي (محمد أسد)[١] ومراد هوفمان[٢] الألماني، وأسلم اللورد

---

(١) ليوبولد فايس: مستشرق نمساوي أشهر إسلامه وتسمى بمحمد أسدوايس. وأنشأ بمعاونة وليم بكتول، الذي أسلم هو الآخر، مجلة الثقافة الإسلامية في حيدر آباد الدكن (١٩٢٧) وكتب فيها دراسات وفيرة معظمها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام. آثاره: ترجمه صحيح البخاري، بتعليق وفهرس (١٩٣٥) وألف أصول الفقه الإسلامي. والطريق إلى مكة. والإسلام على مفترق الطرق (نقله إلى العربية الدكتور عمر فروخ – بيروت ١٩٤٦) . يراجع المستشرقون – نجيب العقيقي– دار المعارف –الطبعة: الثالثة، ١٩٦٤ م (ج١ ص: ٦٤٣) .

(٢) مراد هوفمان: مراد ويلفريد هوفمان ألماني ولد عام ١٩٣١م لأسرة كاثوليكية، درس القانون في جامعة ميونخ ونال الماجستير في القانون من جامعة هارفاد ١٩٦٠، تقلد عدة مناصب دبلوماسية منا أنه كان سفيرا لبلاده بالجزائر عام ١٩٨٥ والمغرب عام ١٩٩٠، اعتنق الإسلام في ٢٥ سبتمبر ١٩٨٠ م من مؤلفاته: يوميات ألماني مسلم – الإسلام كبديل – الطريق إلى مكة – الإسلام في الألفية الثالثة ديانة في صعود . يراجع =

هيدلي[١] وهو بريطاني، ورينيه جينو[٢] وهو فرنسي، وأسلمت مريم جميلة الأمريكية[٣] التي كان اعتناقها للإسلام "النتيجة الطبيعية المنطقية لجهود عقلية وروحية كبيرة متواصلة وسط أحراش الغابة الثقافية الأمريكية وأدغالها"[٤] فإذا كان اعتناق بعض الفرقاء المختلفين لفكرة يعتبر دليلا على صحة هذه الفكرة فكيف يصح أن يكون ذلك دليلا على صحة مبدأين متناقضين هما

=

جاذبية الإسلام الروحية لماذا أسلم هؤلاء- د أحمد عبد الرحمن - مكتبة وهبة- الأولى: ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م (ص ٨٢ وما بعدها.

(١) اللورد هيدلي: ولد سنة ١٨٥٥ م وكان من اكبر شخصيات الأشراف البريطانيين وكان سياسيا ومؤلفا درس في كامبريدج وأصبح شريفا سنة ١٨٧٧ م أعلن إسلامه يوم ١٦ نوفمبر ١٩١٣م ومن مؤلفاته: AWestren Awakening to Islam . من أقواله: من المحتمل أن يتصور بعض أصدقائي أنني وقعت تحت تأثير المسلمين، ولكن ذلك ليس هو السبب في تحولي إلى الإسلام لأن اقتناعي كان حصيلة لدراسة دامت لسنوات عديدة". يراجع لماذا أسلمنا مجموعة مقالات لتخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناقهم للإسلام - نشر مكتبة الحرمين - دون تاريخ - ترجمة مصطفى جبر - (ص: ٥١-٥٥) .

(٢) رينيه جينو: مستشرق فرنسي عني بالدراسات الصوفية الإسلامية، واعتنق الإسلام وأقام بالقاهرة في مصر منذ عام ١٩٣٠ وقد أصدر الدكتور عبد الحليم محمود كتاباً عنه بعنوان: الفيلسوف المسلم. ومات عام ١٩٥١ ينظر: المستشرقون - نجيب العقيقي - ج١ ص٢٠٧٠.

(٣) مريم جميلة: اسمها مارجريت ماركس ولد لأبوين يهوديين في نيويورك بأمريكا عام ١٩٣٤م وبعد رحلة من البحث أشهرت إسلامها في ٢٤ مايو عام ١٩٦١ وسافرت إلى باكستان وعاشت فيها من مؤلفاتها: Islam Versus The West و Islam And Modernism و Islam In Theory And Practice تراجع سيرة حياتها في: جاذبية الإسلام الروحية..لماذا اسلم هؤلاء - د/ أحمد عبد الرحمن - نشر مكتبة وهبة - الطبعة الأولى- ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م - (ص: ٤٦-٧٩) . ويراجع: رجال ونساء أسلموا - د/ عرفات كامل العشي - ط المكتب المصري الحديث ١٤٠٢هـ ٢٠٠١م. (ص٤٦ وما بعدها)

(٤) لماذا أسلم هؤلاء - د أحمد عبد الرحمن - مرجع سابق - (ص: ٦٣)

الإيمان والإلحاد؟

إذن كثرة الأتباع أو قلتهم واختلافهم أو تقاربهم جغرافيا ليس دليلا على صحة فكرة ما إنما تصح الأفكار أو تبطل بالأدلة التي تقدمها على صحتها، والحجج التي تثبت صوابَها.

كما أن الكاتب يتجاهل أن للإلحاد أسبابَه المختلفة منها نشأة الشخص في بيت خال من آداب الإسلام ومن هدايته فيتأثر بشبهات الملحدين، ومنها أن يتصل الفتى الضعيف النفس بملحد يكون أقوى منه نفسا فيأخذه إلى سوء العقيدة ويفسد عليه أمر دينه، ومنها أن يقرأ الناشيء مؤلفات الملحدين وقد دسوا فيها سموما من الشبه والألفاظ المنمقة، ومنها أن تغلب الشهوات على نفس الشخص فتريه أن المصلحة في إباحتها وأن تحريم الشارع لها خال من كل حكمة، فيخرج من هذا الباب إلى إباحية وجحود(١).

خلاصة القول: أن الذي يثبت صحة الدعوى هو الأدلة التي يقدمها صاحبها على صحة دعواه، وموقع هذه الأدلة من المنطق السليم، فالإيمان ثابت بالأدلة الصحيحة التي يقدمها، والإلحاد باطل لكونه لا يملك دليلا منطقيا على صحته، أما أن يعتمد الملحد أو المؤمن في الاستدلال على كون بعض أفراد مختلفين في العالم ألحدوا أو آمنوا فليس دليلا كافيا على الصحة، فماذا لو آمن بعضهم وجه النهار وألحد آخره؟ أيكون ذلك دليلا على بطلان الإيمان؟ وماذا لو ألحد بعضهم مرحلة من عمره ثم آمن حتى ختم حياته مؤمنا، أيكفى ذلك للتدليل على بطلان الإلحاد؟ يبقى القول الفصل للحجاج العلمي بين الموقفين.

وأما ادعاء أن الإيمان ناتج عن وراثة العقائد جغرافيا ولا يقوم على التفكير فيرد عليه بأنه ليس كل موروث خاطئا ومناقضا لحكم العقل، فلا عيب في وراثة الإيمان بالله تعالى من

---

(١) الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده أسباب ظهوره علاجه - الشيخ محمد الخضر حسين - مكتبة ابن تيمية الكويت ١٤٠٦ هـ - ص ٩.

الأسلاف ما دام الإيمان يقدم أدلته الصحيحة بين يديه، وأيضا ليس كل موروث صحيحا فالإلحاد نفسه يورَث في المجتمعات التي تتبنَّاه وتقيم حياتها على أساسه ويبقى الفصل في هذه المسألة لنتائج المحاجَّة بين المؤمن والملحد.

وإذا كان الكاتب يستدل بأن شرذمة متفرقة في بقاع العالم ألحدوا فيرد عليه بالمثل بأن عصبة من هؤلاء الملاحدة اتبعوا منهجا قويما في التفكير فعادوا إلى الإيمان بعد الإلحاد[١] وأن أعداد الداخلين في الإسلام في تزايد في شتى بقاع العالم بفعل تفكيرهم في صحة أديانهم[٢].

وخلاصة القول هي أن وجود الإيمان في بقعة جغرافية ما قد يكون عاملا في وراثته من الأجيال السابقة، ولكن هذا لا يمنع من كون الإيمان قضية تحمل في ذاتها أدلة صحتها وتعرضها على كل جيل ينشأ فيها من خلال نصوصها التي وردت في كتابها. إن الموروث لا يعاب لذاته أي لكونه موروثا، حيث يحتمل أن يكون موروثا صحيحا، ويحتمل أن يكون موروثا خاطئا، والأدلة والحجج هي التي ترجح أحد الاحتمالين وتبطل الآخر.

---

(١) مثل أنتوني فلو وكان يعد من زعماء الإلحاد.سبقت الإشارة إليه في المبحث الثاني، ومثل بول فيتز " كان ملحدا وبعد أن ترك الإلحاد بدأ في تحليل سيكولوجية تفكير الملحدين ليكتشف بالفعل أن الإلحاد يؤدي إلى خلل نفسي عصابي" ينظر: الرد على الملحدين العرب – د هيثم طلعت – دار الكاتب – الطبعة الأولى – ٢٠١٤– (ص: ٤٩٥) . ويراجع كتاب بول فيتز بعنوان: نفسية الإلحاد ترجمة مركز دلائل – الطبعة الثانية – ٢٠١٣م.

(٢) يراجع: رجال ونساء أسلموا للدكتور عرفات كامل العشي– طبعة المكتب المصري الحديث – دون تاريخ – والكتاب خمسة أجزاء يسرد فيها المؤلف عشرات القصص للمهتدين إلى الإسلام، وينظر أيضا: علماء ومفكرون وأدباء وفلاسفة أسلموا – الحسيني الحسيني معدى– نشر دار الكتاب العربي – دمشق، القاهرة– الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٦، وينظر: مشاهير أسلموا – د عبد الله البلتاجي – نشر: دار القمة، ودار الإيمان بالإسكندرية – دون تاريخ.

المبحث الرابع: أسباب إنكار الدين .. عرض ونقد

في مقال بعنوان " نقد الإيمان بوجود الله" يترجم الكاتب[١] مناظرة بين الأخوين (كريستوفر هيتشنز)[٢] و(سن داي بيتر هيتشنز) حول (حرب العراق ووجود الله)، ومما تجدر الإشارة له أن أحد الأخوين (كريستوفر) ملحد، والآخر (سن داي) مؤمن، وقد اقتصر ناقلُها للعربية على الجانب الخاص بالملحد فقط في صورة فجَّة من عدم الموضوعية والهوى الذي يستهدف التلاعب بعقول القراء. وقد تمت المناظرة في ٣ إبريل ٢٠٠٨ م.

يخاطب كريستوفر هيتشنز (الربوبيين) وهم الذين يعتقدون بوجود إله (رب) ولكنهم ينكرون الدين ممثلا في الشرائع التي جاء بها الوحي من عند الله ويتهمهم بأنهم مخطئون أصلا في الاعتقاد بوجود إله لأن هذا الاعتقاد يعتبر مقدمة للالتزام بالدين كله وهو ينكر الدين للأسباب الآتية:

السبب الأول: أن الدين يقرر أن الإله يعلم تفاصيل حياة الناس مع كثرتهم ويتدخل في كل صغيرة وكبيرة من حياتهم وهذا في نظره يستحيل تصوره فضلا عن تصديقه يقول:

"... فالانتقال من الربوبية إلى الدينية وإلى شخص آخر يقول بأن الإله يعرف من أنتم وماذا تريدون وماذا تفعلون، ويستمع لصلواتكم، ويهتم لما تأكلون، وما هي الأجزاء من عضوك التناسلي التي يجب أن تقطعها، أو تخيطها أو توكل أحد بقصها أو خياطتها، ويهتم بمن تنامون

---

(١) سمى نفسه Mckie Theman. يراجع العدد الثاني – الرابط مدرج سابقا – من ص ٦٣ حتى: ٦٩.

(٢) كريستوفر هيتشنز: كاتب صحافي وناقد أدب بريطاني ولد في مدينة بوريتزماوس وتخرج في جامعة إكسفورد عام ١٩٧٠ م وانتقل إلى أمريكا، وأيد حربها على العراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وكان على خلاف مع أخيه (سنداي بيتر هيتشنز) لكنهما تصالحا فيما بعد شارك في مناظرة حول الدين في برامج مونك ديبيت في تورنتو عام ٢٠١٠ وأيد سلمان رشدي في روايته آيات شيطانية أصيب بالسرطان وتوفي عن ٦٢ عاما في ديسمبر ٢٠١١م . ينظر: موقع هيئة الإذاعة البريطانية bbc https://cutt.us/TS٩UL تاريخ المشاهدة ٢٢-٢-٢٠٢٣.

معه وبأي طريقة، وأي يوم تتخذونه مقدسا وماذا تأكلون وما هي الوضعيات التي تستمتعون بها ...إلخ. يبقى قفزة كبيرة فهنا أعني بأن أمامكم الكثير من العمل والحظ الجيد للوصول من واحدة للثانية وهذا من الصعب جدا، الانتقال من الموقف الأول (الربوبية) إلى الثاني (الدينية) لا أحد سيقوم بالتسليم والقبول بهذه الأمور ببساطة وقد أكون راغبا في التوقف عند هذه الحد في انتقادي للدينية، ولكن ليس من خصالي ترك جمهوري شغوفا بهذه البساطة.."[1].

وتجريد المسألة أن كريستوفر لا يستطيع أن يؤمن بالله لأن هذا الإيمان يفرض عليه أن يتصور أن الله يعلم تفاصيل حياة الناس ويتدخل في دقائق حياتهم بالتشريع وهذا في نظره (لا يُسلم به ببساطة)، فهو هنا قد رفض الإيمان نظرا لما يترتب عليه من لوازم عقدية، وتشريعية. إنه يتخذ من لازم الإيمان وهو الاعتقاد بعلم الله المطلق الكاشف لكل أحوال الإنسان ويتخذ من الالتزام بأحكام الشريعة وسيلة لإنكار الإيمان.

نظرة نقدية:

هل مجرد رفض اعتقاد العلم المطلق للخالق سبحانه، وهل استثقال الالتزام يعتبران حجة تبرر الإنكار؟ كلا.. لأن هذه الدعوى لا تثبت أمام الحقائق الآتية:

أولاً: إمكان تصور علم الله المحيط بكل شيء.

هل من الممكن أن نصدق بوجود نوع من العلم يحيط بالأشياء وتنكشف له ظاهرا وباطنا؟ نعم، وذلك إذا وُصف به من لا يشبه الكائنات في ماهيتها ولا في صفاتها، وذلك هو الله تعالى خالق الكائنات الأول والآخر، والذي سمى نفسه (الخالق) وغرس ذلك في فطرة مخلوقاته، ولم يقم له منازع ينازعه ﷻ، فثبتت له وحده، فكما أن ذاته لا تشبه ذوات المخلوقين فإن علمه لا يشبه علمهم، فإذا كان للمخلوق علم فالله تعالى له علم لا يشبه علم المخلوق لا في مصدره

(١) مجلة الملحدين العرب- العدد الثاني ص ٦٤.

ولا في حدوده فعلم الله تعالى ذاتي لا من غيره وعلم الله تعالى مطلق لا تقيده حدود الزمان ولا المكان.

إن علم الله تعالى "صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي عليه الآن من غير سبق خفاء"(١) أي لا يسبقها جهل بالأشياء كأن " تنكشف المعلومات عند تعلقها بها"(٢).

وبعبارة أوضح فإن العقل السليم يحكم بأن" علم الله تعالى محيط بكل الأشياء والمعلومات الماضية والحاضرة والمستقبلة؛ فعلمه لا يُقيِّده زمان ولا يحدُّه مكان، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(٣) ولا يتغيَّر علمه بتغيُّر المعلومات، ولا يتكثَّر بتكثُّرها كما لا تتغيَّر المرآةُ بتغيُّر الصُّوَرِ أو تتكثَّر بكَثرتِها" (٤).

كما أن "علم الله تعالى حضوري؛ أي: علم حاضر أزلا وأبدا، بخلاف علم الإنسان، فإنه علم حصولي؛ يحصل بعد عدم، وينشأ بعد جهل بالمعلوم، ومن خاصية العلم الإلهي أنه صفة كاشفة للأمور المعلومة ومحيطة بها على ما هي عليه في واقع الأمر، أو على ما كانت عليه في الماضي، أو ستكون عليه في المستقبل"(٥).

ومع أنه ما من بد في الرجوع بالمسألة إلى أصلها وهو إثبات وجود الله تعالى والإيمان بما

---

(١) تحفة المريد على جوهرة التوحيد - شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري - طبعة خاصة بالمعاهد الأزهرية - ١٩٩٣م - ص ٨١.

(٢) شرح العقائد النسفية ص ١٥٣.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٨٢.

(٤) مقومات الإسلام - د. أحمد الطيب (شيخ الأزهر) - هدية مجلة الأزهر، عدد شوال ١٤٤٢ هـ مايو/ يونية٢٠٢١- (ص: ٧٠) .

(٥) مقومات الإسلام - ص ٧٠، ٧١.

يجب له من صفات لا تشبه صفات المخلوقين إلا أنه يمكن القول بأن الخطأ في المسألة هنا هو أن إنسانا مخلوقا وفانيا محدود القدرة الإدراكية ما زال يكتشف كل يوم جديدا فيثبتُ لديهِ جهلٌ سابقٌ- هذا الإنسان المخلوق يقيس قدرة خالقه على قدراته فيقول إن علمي محدود وبناء عليه فإن علم الذي خلقني محدود كذلك ولا يمكن أن يراقبني بشكل دائم ليعلم عني كل شيء! إن خطأ القياس يثبت خطأ الدعوى القائمة عليه.

إضافة إلى هذا فإن تحديد المصدر الأول للعلم مفيد في هذه القضية وفي إثبات العلم المطلق لله تعالى، فهل استطاع الإنسان أن يحدد المصدر الأول لمعلوماته؟ إنه إذا حاول ذلك يظل يتسلسل إلى ما لا نهاية حتى يصيبه الإعياء وينتهي به الفكر إلى العجز التام عن تحديد المصدر الأول للعلم أو الفكرة التي تبرق في عقله فيعزوها إلى العبقرية ثم يسأل نفسه عن ماهية هذه العبقرية ومصدر وجودها ومصدرها في تلقي المعلومات لا سيما الإبداعيةَ منها فيقف معترفا بعجزه في نهاية تجواله الفكري[(١)]. وما من تفسير لذلك إلا بالإيمان بالله تعالى خالق الإنسان ومعطيه العقل وواهبه القدرة على الإبداع والتفكير وواهب العلم له، قال الله جل وعز: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[(٢)] ثم وصف حال الإنسان وصفا مطابقا لما حدث منه بعد اغتراره بعلمه وظنه أنه استغنى عن ربه ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[(٣)] ثم بيَّن له أنه مهما ابتعد واغتر واستعلى فإن مصيره إلى ربه قال تعالى: ﴿إِنَّ

(١) مستفاد من كتاب في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم - د يحيى هاشم - يراجع الفصل الثاني بعنوان اعتقاديات العلم الحديث - ص٥٩ حتى نهاية الفصل.

(٢) سورة العلق الآيات: ٣، ٤، ٥.

(٣) سورة العلق الآيتان ٦، ٧.

﴿إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[١] وبناء عليه فإن واهب العلم ومصدره يستحيل أن يغيب عن علمه شيء في الأرض أو في السماء. قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[٢] والله تعالى يعلَم حديث الإنسان مع نفسه مما لم يظهره لأحد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[٣].

ويخبر الله تعالى أنه في يوم القيامة سيجد كل إنسان ما عمل من خير ومن شر وهذا يقتضي إحاطة علم الله تعالى بكل أعمال الإنسان قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[٥] ويأمر الله الناس بأن يتقوه وأن يسيروا على منهجه قبل أن يرجعوا إليه ليجدو أعمالهم في انتظارهم قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٦].

---

(١) سورة العلق الآية: ٨.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٩.

(٣) سورة ق الآيات ١٦-١٨

(٤) سورة آل عمران الآية: ٣٠.

(٥) سورة يونس الآية: ٣٠.

(٦) سورة البقرة الآية: ٢٨١.

إضافة إلى ذلك كله فإن ما يخرج من لسان الإنسان من كلام لا يغيب عن علم الله تعالى ويحاسب عليه قائله ثوابا أو عقابا فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث معاذ رضي الله عنه: "... ثُمَّ قَالَ [أي النبي ﷺ]: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ " فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا " فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟"[(١)].

*** خلاصة القول:**

إن تصورَ علمٍ محيطٍ بكلِّ شيءٍ أمرٌ ممكن عقلا وليس مستحيلا مع الإيمان بوجود الله تعالى المطلقِ العلم، لا سيَّما وأن الله تعالى هو مصدرُ العلمِ وواهب الفكر للإنسان ويؤكِّدُ هذا عجزُ الإنسان عن تحديد مصدر الفكرة التي تأتيه فتفتح له بابا جديدا من العلم، ويخطئُ من يزعم استحالة ذلك بناء على قياس علم الله تعالى على علم الإنسان المحدود القاصر. وبالنسبة للمسلم فقد تواترت الأدلة النقلية على اتصاف الله تعالى بالعلم المحيط الذي لا يعزب عنه شيء في الأرض ولا في السماء.

ثانيًا: احتياج الإنسان للمراقبة الدائمة.

أما استنكار (كريستوفر هيتشنز) مراقبة الله تعالى الدائمة للإنسان وعلمه بكل ما يصدر عنه من حركة وسكون وزعمه أن هذا التصور مما لا يمكن معه التصديق بوجود الله، فمردود بأن الإنسان نفسه قد فعل ذلك على مستواه المحدود فلقد وضع القوانين والأنظمة التي يحكم بها سير المجتمع ثم اهتدى إلى حتمية ملاحظة الناس لضمان تطبيق هذه القوانين، وضمان العدالة في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى معاذ رضي الله عنه حديث رقم ٢٢٠١٦ قال محققوه: صحيح بطرقه وشواهده. المسند ج ٣٦ص ٣٤٥.

الثواب والعقاب إلى أقصى حد ممكن فاخترع كاميرات المراقبة وملأ بها محالَّ الأعمال، والطرق والشوارع، وكلَّ ما يحتاج إلى مراقبة الإنسان فيه ليقيم الدليل على المخالف ويطبق عليه القانون، وفي هذا اعتراف عمليٌّ من الإنسان بأن نظامه لا ينضبط على الوجه الأكمل إلا مع العين الحاضرة اليقظة فإذا أخبره الله الذي خلقه أن يراه في كل أحواله ويعلم ما توسوس به نفسه شعر بالضيق والتضييق وأنكر ذلك على ربه بل أنكر وجود ربه أليس في موقفه هذا تناقض واضح؟.

وإذا كانت هذه المراقبة بالوسائل البشرية غايتها ضبط المجتمع في التصرفات الظاهرة فإن المراقبة الإلهية غايتها أعمق من ذلك حيث تهدف إلى تهذيب النفس البشرية لإصلاح الإنسان ظاهرًا وباطنًا.

لقد عدد أبو الحسن الماوَرْدي(١) **القواعد التي تصلح بها الدنيا،** وتقام بها الدول، وتقوم عليها الحضارة، فجعل الدين أولها لأنه يجعل الإنسان في حال من المراقبة لأفعاله ليقينه أن الله يراقبه ويعلم ما في نفسه وسيحاسبه عليه، قال:

" فأما القاعدة الأولى: فهي الدين المتبع فلأنه يصرف النفوس عن شهواتها، ويعطف القلوب عن إرادتها، حتى يصير قاهرا للسرائر، زاجرا للضمائر، رقيبا على النفوس في خلواتها، نصوحا لها في ملماتها. وهذه الأمور لا يوصل بغير الدين إليها، ولا يصلح الناس إلا عليها. فكأن الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها، وأجدى الأمور نفعا في انتظامها وسلامتها. ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه، مذ فطرهم عقلاء، من تكليف شرعي، واعتقاد ديني ينقادون

---

(١) أبو الحسن الماوردي: علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي البصري، شيخ الشافعية، صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين، كان حليما وقورا أديبا توفي سنة ٤٥٠ هـ عن ست وثمانين سنة. ينظر البداية والنهاية - ابن كثير- نشر دار الفكر- ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م- (ج١٢ ص: ٨٠)

لحكمه فلا تختلف بهم الآراء، ويستسلمون لأمره فلا تتصرف بهم الأهواء"[١].

وأما قول هيتشنز " بأن الإله يعرف من أنتم وماذا تريدون وماذا تفعلون ويستمع لصلواتكم ويهتم لما تأكلون وما هي الأجزاء من عضوك التناسلي التي يجب أن تقطعها أو تخيطها أو توكل أحد بقصها أو خياطتها ويهتم بمن تنامون معه وبأي طريقة وأي يوم تتخذونه مقدسا وماذا تأكلون وما هي الوضعيات التي تستمتعون بها ...إلخ".

فقد ساقه مساق السخرية من كون الله تعالى يشرع لعباده هذه التشريعات، وهذه السخرية وإن كانت غير مستغربة من ملحد ينكر وجود الله تعالى فإن سخريته عند المؤمن مثار سخرية أيضا؛ إذ كيف يتصور عقل أن يخلق الله تعالى الإنسان هذا الخلق المعجز ويتركه دون أن يضع له منهجا يسير عليه ويعبد به ربه ويقيم عليه حياته، إن الأبوين - ولله المثل الأعلى- إذا تخلَّيا عن تربية أولادهما وتركاهما للحياة دون تعليمهما كيف يتعاملان مع أنفسهم ومع غيرهم اتُّهما بالتقصير، تعالى الله عن ذلك فقد خلق الإنسان من عدم، وركب فيه مستقبلات الهداية وهداه السبيل الأقوم في كل مناحي حياته قال تعالى: ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[٣].

---

(١) أدب الدنيا والدين - أبو الحسن البصري الماوردي - ط مكتبة الايمان - تحقيق طه - عبد الرؤوف سعد- دون تاريخ - ص: ١٣٩.

(٢) سورة الإنسان الآيات١، ٢، ٣.

(٣) سورة الإسراء الآيتان ٩، ١٠.

وأنزل عليه الكتاب تبيانا لكل شيء، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

ونجد ما ينص على هذا الهداية الشاملة للإنسان في السنة النبوية، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن سلمان ﷺ قال: قَالَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ: إِنِّي لَأَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّى الْخِرَاءَةِ قَالَ سَلْمَانُ: أَجَلْ "أَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ، وَلَا نَسْتَنْجِيَ بِأَيْمَانِنَا، وَلَا نَكْتَفِيَ بِدُونِ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ لَيْسَ فِيهَا رَجِيعٌ (٢) وَلَا عَظْمٌ"(٣).

إن كثيرًا من القضايا التي ينكرها الملحدون على الله تعالى يفعلها البشر بأنفسهم؛ والدليل على ذلك أن قطاعًا كبيرًا من البشر غيَّبوا الدين وعزَلوه عن نظم حياتهم إلا الروحيةَ منها، ثم راحوا يضعون الأنظمة لكل دقيق وجليل في حياتهم بدءا من العقيدة بوجوب الالتزام بالقانون حبا في الوطن وانتماء للقومية وانتهاء بقيم الحضارة كالجدِّ في العمل والنظافةِ وتقدير قيمة الوقت، ويضعون القوانين الحارسة لهذه النظم، يفعلون هذا ويرضخون له راضين لكنه إذا جاءهم من رب العالمين رفضوا مستنكفين ساخرين أليس هذا تناقضا في الموقف يؤدي لبطلان دعواهم؟ بلى.

---

(١) سورة النحل الآية: ٨٩.

(٢) الرجيع: العَذِرة والرَّوث، سمي رجيعا لأنه رجع عن حالته الأولى بعد أن كان طعاما أو علفا. النهاية في غريب الحديث والأثر - ابن الأثير- نشر المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م- تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، و محمود محمد الطناحي (ج٢ ص٢٠٣).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند ج ٣٩ ص١٠٨ رقم ٢٣٧٠٣ - وفي الهامش قال المحققون إسناده صحيح على شرط الشيخين وفي هامشه أيضا الرجيع. هو الرَّوث والعَذِرة، سُمي رجيعًا، لأنه رجع عن حالته الأولى بعد أن كان طعامًا أو علفًا.

كما أن لكل مجتمع عاداتِه في التربية وتقاليدَه في التنشئة، وتقوم الأسرة بدورها في تلقين هذه العادات وتطبيق هذه التقاليد للناشئة فيها، وهي تشمل كل دقائق الحياة الفردية والاجتماعية، وتعتبر مخالفة العادات الشخصية والاجتماعية عيبا ونشازا عن الخط العام للمجتمع وتقوم المؤسسات التعليمية بالدور نفسه، وتضع العقوبات التأديبية لمن يخالف، ولكن الإلحاد يرفض كل عادة مصدرها إلهي فقط لا لشيء إلا لأنها كذلك وهذا تناقض في الموقف الواحد يدل على عدم المصداقية والحكم بالهوى لا بالعقل.

نعم من الممكن أن يقول المؤمن بالله كقول هيشتنز إنني لا أقبل فكرة أن تكون إنسانا مثلي ثم تنظم لي حياتي في كل شؤونها وأن تحدد لي كيف أسير على الطريق بسيارتي وما هي الأماكن التي يجب أن أتوقف عندها والأماكن التي لا يجب أن أعبر منها، وأن تحدد لي متى وأين أشرب ومتى لا أشرب، وأرفض فكرة أن تضع لي كاميرات مراقبة في كل مكان لتقيد حريتي وتضايقني بالشعور بأن هناك من يلاحظني في كل وقت، وأرفض أن تعاقبني بالسجن حيث يبدأ المرح الحقيقي! إن كونك تفعل كل هذا يجعلني لا أصدق بوجودك. سأكفر بك لأستريح!

السبب الثاني: أن الدين – كما يَظُن– صورة شمولية للاستبداد والعبودية بلا حدود والاعتقاد بأن هناك من يتدخل في كلِّ شيء في حياتك حتى طريقة تفكيرك ويحاسبك عليها وبعد موتك يحاسبك على ما فعلته في حياتك. يقول:

" أنا أعتقد أنه شيء جيد أنه لا يوجد مبرر للإيمان بهذا الفرض المنافي للعقل الذي وضحته في كلامي قبل قليل. السبب الرئيسي هو أنه إيمان وقبول بالشمولية والاستبداد وأن تتمنى أن تكون عبدا خاضعا إنها الرغبة لديهم بالرضوخ إلى سلطة محكمة ومطلقة غاشمة ومتعسِّفة لا يمكن تحديدها أو تغييرها. القوة نفسها التي تدينك بجريمة التفكير حتى خلال نومك وهي القوة التي تخضعك بشكل قسري للمحاكمة والمراقبة على مدار الساعة في كل لحظة من حياتك طوال أيامك الباقية وحتى من قبل ولادتك وطبعا حتى بعد موتك حيث يبدأ

المرح الحقيقي"[١]. ويضيف:

"هل يمنحك القرآن أو الإنجيل هذا النوعَ من الحرية؟ لا وألف لا الاستبداد والتعاسة والاستحواذ الكامل على ذاتك وشخصيتك وتحطيم فرديتك تبدأ من عند نقطة الموت.. هذا شر مطلق بلا شك"[٢].

نظرة نقدية:

وهيتشنز هنا يرفض الإيمان بحجة أنه نظام شمولي مستبِدٌّ يستعبد الإنسان مادةً ومعنى، ويحرمه من حريته، وقد يصحُّ هذا لو أن الإنسان إذا خرج من الإيمان ظل حرًّا لا يطالبه أحدٌ بولاء وانتماء، ولا يُلزمه أحدٌ بنظام، ولا يحاسبه بقانون، ولكنَّ الحقيقةَ غيرُ ذلك؛ فهو سيخرج من نظام الإيمان الذي رضيه الله تعالى له إلى نظام آخر وضعه له أخوه الإنسان ليطالبه بالولاء لهذا النظام ويفرز له منه قانونا يأمره ألا يتعدَّى حدودَه، ويضع له نظاما للعقوبات إذا عبَّر عن عدم ولائه للنظام فتجاوز الخطَّ الأحمر، أو خرَق القانون الموضوع له، فلماذا يقبل الملحدون الخضوع لـنُظُم البشر ويستنكفون عن الخضوع لنظام الله تعالى وفي النهاية الخضوع هو الخضوع؟ بل الحق – لو كانوا يعلمون– أن في نظام الإيمان بالله تحريرا حقيقيا للإنسان من خضوعه للبشر إلى خضوعه لله تعالى الحاكم بينه وبين البشر وهو حاكم عادل لا يحابي فردا على حساب فرد ولا أمة على حساب أخرى، بل ساوى بين الجميع ووضع نظاما يسع الجميع وأمر بإقامته وإدارة الحياة الدنيا في حدود قواعده العامة فيما لم يُنزل فيه نصا بعينه.

أما ما ذكره هيتشنز في عُرض كلامه عن (القوة نفسها التي تدينك بجريمة التفكير حتى خلال نومك وهي القوة التي تخضعك بشكل قسري للمحاكمة والمراقبة على مدار الساعة في كل

---

(١) مجلة الملحدين العرب – العدد الثاني – ص٦٥.

(٢) مجلة الملحدين العدد الثاني ص٦٦.

لحظة من حياتك طوال أيامك الباقية) فكلام مبالغ فيه ولا سند له من الواقع. ولفظ التفكير قد ورد في كلامه عاما فإن كان يقصد به العمليات العقلية الموصلة إلى الحقائق العامة مثل السؤال عن خلق الإنسان وأسراره، وخلق الكون ونظامه - إن كان يقصد ذلك فثمَّة دين -هو الإسلام- لا يجرِّم التفكير ولا يعتبره جريمة بل إن العكس هو الصحيح إنه يأمر بالتفكير في هذا الميدان [١] ويجعل "التفكير فريضة إسلامية"[٢] كما أن القرآن الكريم يدعو إلى التفكير والتحرر من قيود الجهل ويقدم الإيمان في سياق المنطق والاستدلال وليس في سياق خوارق العادات وما يعجز العقل[٣].

وإن كان يقصد بالتفكير الخواطر التي ترد على ذهن الإنسان خيرها وشرها وما يعرض له

---

(١) في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على التفكر في خلق الإنسان وأصله كقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ سورة الطارق الآيات ٤ - ٧. وقوله تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ سورة الذاريات الآيتان ٢٠، ٢١. وقوله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سورة يونس الآية ١٠١ وغير هذا كثير مما دعا الشيخ محمد الغزالي رحمه الله أن يجعل دلالة الكون على الله في القرآن الكريم أحد المحاور الخمسة التي يدور حولها القرآن ينظر كتابه المحاور الخمسة للقرآن الكريم

(٢) عنوان كتاب للأستاذ عباس العقاد رحمه الله.

(٣) قال تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝٩٠ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝٩١ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٣ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝٩٤﴾ سورة الإسراء الآيات من ٩٠ حتى ٩٤. وقال تعالى ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ سورة الإسراء الآية: ٥٩.

من وساوس فالإسلام لا يحاسبه على هذا ما دام لم يخرج إلى الواقع قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾[١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ قَالَ: "إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ، أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ بِهِ، أَوْ تَكَلَّمْ. قال الكرماني: فيه أن الوجود الذهني [لما يفكر فيه الإنسان] لا أثر له، وإنما الاعتبار بالوجود القولي في القوليات [إذا تلفظ بها] والعملي في العمليات [إذا قام بالفعل] "[٢].

وأما أن هناك خضوعا قسريا للمحاكمة والمراقبة على مدار الساعة في كل لحظة من حياتك طوال أيامك الباقية، فالأمر ليس بهذا التصوير الخانق المنفر الذي يوهم أن الله تعالى يترصَّد الأخطاء لعباده بمراقبتهم ليعاقبهم عليها فالأمر ليس كذلك، ولكنه تعالى يخبرهم أنه- وإن علم بذنوبهم- فإنه يسترهم ولا يفضحهم ويعطيهم الفرصة تلو الفرصة حتى يتوبوا ويرجعوا قال تعالى: ﴿**قُلْ يا عبادى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[٣].

وفي البخاري من حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: سمعتُ رسول الله (ﷺ)، يقول: «إن الله يُدنِي المؤمنَ، فيضع عليه كنَفَه ويسترُه، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أيْ ربِّ، حتى إذا قرَّره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلَك، قال: سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد:

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٨٦ وهي ناسخة لقوله تعالى في الآية ٢٨٥ من السورة ذاتها ﴿**لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ ينظر: الإتقان في علوم القرآن - السيوطي- ط مجمع الملك فهد - دون تاريخ - تحقيق مركز الدراسات القرآنية- (ج١ ص: ١٤٤٥)

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني- سابق- (ج١١ ص ٧٧١) .

(٣) سورة الزمر: الآية: ٥٣.

﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾»[١].

كما أن لاستشعار العبد مراقبة الله تعالى هدفا تربويا ليكون ذلك رادعا له عن ارتكاب الذنوب والآثام وهي تضره، وتضر غيره قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[٢].

إن هيتشنز يتكلم بلسان العبد المتحرر من كل ما يجعل لتصرفاته حدودا يقف عندها اللهم إلا إذا كانت تقنينا بشريا، ولا يريد أن يزعج نفسه بأن هناك إلها يراقب كل سكناته وحركاته وسيحاسبه عليها، ولم ينظر إلى الجانب الآخر جانب العبد الصالح الذي يطيع ربه في السر والعلن فيكون من دواعي سعادته أن يستشعر معيَّة الله تعالى معه أينما كان.

السبب الثالث: أن وضع تشريعات إلهية تنظم حياة الإنسان يعتبر إهانة للإنسان وتشكيكا في عقله وقدرته على التفكير ولهذا يجب في نظره رفض الدين حفاظا على الكرامة الإنسانية، يقول هيتشنز وقد استعلى واستكبر على خالقه سبحانه:

" فكرة الإيمان بوجود الله تهيننا وتهاجمنا في عمق نزاهتنا وكياننا وكرامتنا... إنها تقول: أننا كلنا.. أنا وأنت. لا يمكننا فرديا أو جماعيا تقرير الفعل الصحيح أو الشيء الصحيح الصائب بدون الإذن السماوي الإلهي.. أننا لن نعرف الخطأ من الصواب بدون إذن السماء.. من أين لنا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم والغصب باب قول الله تعالى ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري - ابن حجر العسقلاني - دار مصر للطباعة - الأولى - ١٤٢١هـ ٢٠٠٥م ج٥ ص ١٣٧ حديث رقم ٢٤٤١، والآية الكريمة من سورة هود رقم ١٨.

(٢) سورة آل عمران: الآيتان ١٣٥، ١٣٦.

وكيف لنا أن نعرف التضامن والتكافل الإنساني ومعرفتنا الأساسية للصواب والخطأ ووعينا الفطن والحاد لما هو عادل وما هو غير عادل كل ذلك بلا قيمة. فهي تنزل علينا من الدكتاتور المطلق وعرشه [أستغفر الله] ماذا يمكن أن يدمر نزاهتنا وصدقنا وكرامتنا واستقامتنا أكثر من ذلك" [١].

والخلاصة أن هيتشنز يزعم أن اعتناق الدين يعني أن ثمة مصدرا إلهيا تؤخذ منه القيم الموجِّهة لحياة الإنسان، ويرى أن ذلك حط من كرامة الإنسان وتشكيك في عقله.

نظرة نقدية:

هذا ما يراه. والسؤال الذي يطرح نفسه الآن بقوة هو إذا افترضنا جدلا أن الإنسان هو مصدر قيم مثل التضامن والتكافل والصدق والنزاهة فكيف تواضع بنو الإنسان على تقرير هذه القيم مع أن الناس مختلفون في اتجاهاتهم ومتفاوتون في تقديرهم للأمور فما الذي جعلهم يتفقون على أن الصدق فضيلة وأن الكذب رذيلة؟

أليس في هذا حثا على البحث عن المصدر الذي أقر هذه القيم الواحدة في عقول هؤلاء الفرقاء؟ إن " الحس الأخلاقي المشترك بين أفراد الإنسان يتطلب علَّة تكونُ هي سببا فيه، وهي ما يسميه الدين بالفطرة. والفطرة إجمالا عبارة عن شعور أخلاقيٍّ يولد به الإنسان في كمال خلقته ولا بد لشعورٍ هذه حقيقته أن يكون تلقائيا؛ لأن الإنسان مخلوق به"[٢]، وهكذا – على عكس ما يزعمه هيتشنز فإن توافق البشر على تقرير القيم يعني أنها ألقيت إليهم من مصدر واحد هو الله تعالى.

ودليل ذلك أيضًا أن "من نظروا في الصِّلة بين الأخلاق والدِّين من فلاسفة الغرب كانت

---

(١) العدد الثاني ص٦٦.

(٢) سؤال الأخلاق – د. طه عبد الرحمن– (ص: ٤٩) .

تشغلهم أساسا العلاقة بين الأخلاق الكريمة -أو قُل الفضائل- والدين، وليس العلاقة بين عموم الأخلاق بما فيها الرذائل والدين، وفي هذا إشارة إلى أنهم كانوا يبنون أحكامهم على أصل مُضمرٍ في نفوسهم، وهو أن الدين لا يمكنُ إلاّ أن يكون مصدرَ هذه الأخلاق وحدها"[١].

ودليل ذلك أيضا أن من اعتبر أساس الأخلاق عند الإنسان اجتماعيا ينشأ من ضغط الفرد على المجتمع ومن شعور الفرد بالمسئولية تجاه المجتمع - ومنهم هنري برجسون[٢] - قد حار في تعليل مصدر الأخلاق وتساءل: إذا كان المجتمعُ مصدر الأخلاق الملزمة للفرد فما الذي يُلهم الأفراد بالحاجة إلى الاجتماع إلا إذا كان هذا الميل فطريا فيهم؟ وإذا كان تكوين المجتمع ناشئا من دعوة أفراد ممتازين موهوبين وضعوا أسس الأخلاق فما مصدر هذا التطلع وهذه القيم لديهم؟ ثم أجاب: إن الأخلاق تطلعات حيوية (بيولوجية)! ولكنه لم يجب عن السؤال المركزي وهو وما مصدر الحياة نفسه مما يعني العجز أو إرادة عدم الإفصاح![٣].

---

(١) سؤال الأخلاق - د. طه عبد الرحمن- (ص: ٢٩) .

(٢) هنري برجسون: هنري لويس برغسون ولد في باريس ١٨٥٩ ومات ١٩٤١م من مؤلفاته: الطاقة الروحية عام ١٩١٩م، و منبعا الأخلاق والدين عام ١٩٣٢، وحصل على جائزة نوبل عام ١٩٢٨ - يراجع: معجم الفلاسفة جورج طرابيشي - ١٦٢- ١٦٦.

(٣) " ما دام المجتمع موجودا فإنه يُحدث بالضرورة ضغطا على أعضائه، وهذا الضغط هو الإلزام. ولكن يجب ان نذكر قبل كل شيء أنه لكي يوجد المجتمع نفسه يجب أن يكون الفرد حاملا مجموعة من الاستعدادات الفطرية، فالمجتمع لا يُفسَّر إذن بذاته، ويجب بالتالي أن نحفِر تحت المكتسبات الاجتماعية فنصل إلى الحياة، وما المجتمعات الإنسانية، ولا النوع البشري إلا تجلياتٌ لها: على أن هذا القول لا يكفي: فينبغي أن نُوغل في الحفر أيضا إذا كنا لا نريد أن نفهم فقط كيف يُلزم المجتمع الأفراد، بل كنا نريد أن نعرفَ أيضا كيف يحكم الفرد المجتمع، فيبدلَ أخلاقه. لو أن المجتمع يكتفي بذاته، لكان هو السلطة العليا. أما وأنه شيء مما أوجدت الحياة فإننا نستطيع أن نتصور كيف يمكن الحياة التي ألقت =

وإزاء هذا العجز عن تحديد المصدر الأول للأخلاق، وإزاء نسبتها إلى الحياة دون تحديد المصدر الأول للحياة ذاتها، فإن المتدين يوقن بأن التفسير الوحيد الصحيح لفطرية الأخلاق ومصدر الحياة هو الله تعالى؛ إذ أنه لا يصح أن يقال إنهم هم الذين غرسوها في أنفسهم لاستحالة تصوِّر اتِّفاقهم عليها مع اختلافهم الواضح في التفكير والطِّباع، ومن الخطأ أيضا أن يُقال إن واحدا منهم أو جماعة وضعوها للآخرين؛ حيث لا يُعرف ذلك في التاريخ، ويستحيل وصوله وتعميمه على كل الأمم، فلم يبق إلا أن ذلك غُرس في أصل فطرتهم غرسا بحيث يولدون به وينشأون عليه، ولم يبق إلا القطع بأن الله الذي خلقهم هو الذي أودع ذلك في نفوسهم وبناء عليه يقررون الصواب من الخطأ بأنفسهم.

ومادام هذا الاستدلال قد رجع بنا إلى إثبات وجود الله تعالى فمن العبث أن يقال إن الله تعالى قد خلق الإنسان وأودع هذه القيم في فطرته ثم تركه يتبع هواه وميوله في تطبيقها أو عدم تطبيقها؛ لأن الواقع يشهد أن الإنسان -في المجموع- مع تجذُّر هذه القيم في نفسه إلا أن نوازع أخرى تغلب عليه تدفعه إلى مخالفتها فهو يتبع ميوله، وعواطفه، وغرائزه في تحقيق ما يعتبره مكسبا بالنسبة له دون اعتراف بحقوق غيره، قال تعالى:

﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ

=

النوع البشري إبان تطورها في هذه النقطة أو تلك، تبث دفعة جديدة في أفراد ممتازين من أفراد هذا النوع، ينغمرون بها، فيساعدون المجتمع على أن يسير خطوة إلى أمام. والحق أنه يجب أن نتوغل حتى نصل إلى مبدأ الحياة نفسه. فكل شيء يظل غامضا إذا نحن اقتصرنا على مجرد التجليات، سواء أسميناها في مجموعها اجتماعية، أو نظرنا، في الإنسان الاجتماعي إلى العقل خاصة. حتى إذا بحثنا عن الحياة نفسها غدا كل شيء واضحا. فلنهب لكلمة (البيولوجيا) هذا المعنى المستوعب الذي يجب أن يكون لها، والذي قد تناله يوما ما ولنقل خاتمين إن كل أخلاق ضغطا كانت أو تطلعا ذات بيولويجية" منبعا الأخلاق والدين – هنري برجسون – تعريب سامي الدروبي وزميله – مكتبة الأسرة ٢٠١٠م – ص ٩٢.

يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[١] وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[٢] وقال تعالى ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٣].

ومن هنا أرسل الله تعالى الرسل وأنزل الكتب لتؤكِّد على ما أُودع في فطرة الإنسان وتنادي الإنسان بالتزامه وتطالبه بتهذيب غرائزه قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[٦].

وتخبره برقابة الله تعالى عليه حيث يعلم ليس فقط مكانه وأفعاله، بل ما توسوس به نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

---

(١) سورة الفرقان الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٢) سورة الكهف من الآية: ٢٨.

(٣) سورة الجاثية الآية: ٢٣.

(٤) سورة الشمس الآيات: من ٧ إلى ١٠.

(٥) سورة البقرة الآية: ٢١٣.

(٦) سورة هود الآية: ١٩.

عَتِيدٌ﴾[١].

وتعدُه برضا الله وثوابه في الجنة إن هو التزم بمقتضيات الإيمان بالله وتتوعَّده بعذاب الله تعالى ونقمتِه في النار إن هو رفض الإيمان وما يترتب عليه من التزام، قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[٢].

وفي النهاية تجعل هذا قبولَ هذا كلِّه أو رفضَه خيارا للإنسان يتحمل عاقبته في النهاية. قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[٣].

يضاف إلى هذا أن وضع الأسس الحاكمة لتوجهات الإنسان لا يشكل امتهانا لكرامته أو تشكيكا في قدراته العقلية؛ فكل مجال من مجالات الحياة يضع له المتخصِّصون فيه قواعدَ حاكمة يتصرف جميع المحكومين بها في حدودها دون أن يرفضوها بحجة أن التقنين لهم يعد امتهانا لكرامتهم.

إن المشرعين في المجالس النيابية يضعون القوانين الحاكمة المنظمة لمجالات الحياة المختلفة ويقبلها الباقون بناء على العقد الذي أبرموه بتفويض هؤلاء المشرعين في هذه المجالس ولم يقل أحد إن التشريع لنا والتحكُّم في حرِّيَّتنا بوضع قوانين تحد أفعالنا يُعدُّ امتهانا لكرامتنا وتشكيكا في قدرتنا؛ وهكذا يظهر أن الإنسان الملحد يقبل بالمبدأ إذا كان تطبيقه من مثله ولا يقبل به إذا كان أصله من الله تعالى مما يدل على أن مشكلته نفسية وليست عقلية.

---

(١) سورة ق الآيات من ١٦ إلى ١٨.

(٢) سورة الزلزلة الآيتان: ٧، ٨.

(٣) سورة الكهف الآيتان ٢٩، ٣٠.

وليس في تشريع الله تعالى إهانةٌ للإنسان؛ كيف ذلك وقد رضي الإنسان بالله ربا وآمن به ورضي بحكمه وتشريعه ففي تشريع الله تعالى للإنسان تكريم له؛ حيث رفع عنه شبهة التحيز في التشريع لفرد أو لطبقة اجتماعية معينة.

كما أن التشريع الإلهي ليس تشريعا تفصيليا لكل مفردات الحياة ومستجداتها بحيث يمنع الإنسان من التفكير ويحكم عليه بالغباء وعدم الصلاحية للنظر في شئون دنياه؛ بل إن نصوص الشرع ثابتة والحوادث متجددة لا تنتهي ومن ثم فالإنسان مطالب بأن يعمل عقله في استنباط أحكام جديدة تخريجا على الأصول الشرعية والقواعد العامة للشريعة[١] ومُطالب كذلك بتجديد الوسائل المحققة لمقاصد التشريع في مجالات الحياة كالعلم والحكم والإدارة والقضاء والاقتصاد وما هو من هذا الباب. وإن الناظر في تراث المسلمين سيجد نتاجا عقليا هائلا فيما خلفوه من تراث حيث أسسوا علوما لم تكن موجودة في عهد النبوة في مجالات اللغة والعلوم العقلية كالمنطق وأدب البحث وأدب المناظرة والجدل، والتقوا بتراث اليونان الفلسفي فتعاملوا معه بعين نقدية حافظوا فيها على ذاتيتهم من الذَّوبان في غيرهم وطوعوه لصالح دينهم ودنياهم[٢]، وأسهموا في العلوم الكونية وأسسوا المنهج التجريبي بوضع أسسه وأصوله وتأثرت بها الحضارة الأوروبية في قيام نهضتها[٣].

---

(١) ينظر: أحسن الكلام فيما يقال في السنة والبدعة من الأحكام - الشيخ محمد بخيت المطيعي - مراجعة وتحقيق: د. عطية مصطفى - الطبعة الثانية - ١٤٤٢هـ ٢٠٢١م - نشر: كشيدة (ص ٢٠، ٢١)

(٢) ينظر: الطريق إلى التراث الإسلامي مقدمات معرفية ومداخل منهجية - د علي جمعة - الطبعة الرابعة - نهضة مصر - ٢٠٠٩م- ص ٤٤، ٤٥.

(٣) قال غوستاف لوبون: " ويعزى إلى بيكُن على العموم أنه أول من أقام التجربة والترصُّد اللذين هما ركن المنهاج العلمية الحديثة، مقام الأستاذ، ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم، وقد أبدى هذا الرأي جميع العلماء اللذين درسوا مؤلفات العرب، ولا سيما هنبولد، فبعد أن

=

فالعقل في ظلال الدين يعمل ويبدع ويقنن ويشرع، والإنسان في ظلال الإسلام يشعر بقيمته الإنسانية وكرامته التي حباه الله تعالى بها قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[١] كرّمه الله بالعقل، والنطق، والتمييز، والخط، والصورة الحسنة والقامة المعتدلة، وتدبير أمر المعاش والمعاد، وسلطه على ما في الأرض[٢] هذه الكرامة الإنسانية والقوة البشرية منحة إلهية للإنسان المؤمن، إنما البائس هو الملحد التي يعتبر الإنسان حفنة من تراب لا يدري كيف نشأت ويقدر قيمتها حسب مزاجه الشخصي، وإذا أراد محوها أبادها من الوجود دون وخزة من ضمير أو خوفا من إله قدير.

السبب الرابع: أن مهمة الدين في تفسير الكون انتهت بظهور العلم، فقد كان الدين قديما – كما يزعم– وسيلة لتفسير الظواهر الكونية لكن الآن حل العلم محله فتحول الدين إلى عائق عن التقدم يجب تركه حتى تستمر مسيرة التحضر الإنساني. يقول:

=

ذكر هذا العالم الشهير أن ما قام على التجربة والترصد هو أرفع درجة في العلوم قال: (إن العرب ارتقوا في علومهم إلى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء تقريبا) ". حضارة العرب – غوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر– مكتبة الأسرة – ٢٠٠٠م– (ص: ٤٣٥) وقال نقلا عن مسيو سيديو: " إن أهم ما تصفت به مدرسة بغداد في البداءة هو روحها العلمية الصحيحة التي كانت سائدة لأعمالها، وكان استخراج المجهول من المعلوم والتدقيق في الحوادث تدقيقا مؤديا إلى استنباط العلل من المعلومات وعدم التسليم بما لا يثبت بغير التجربة مبادئ قال بها أساتذة من العرب، وكان العرب، في القرن التاسع من الميلاد، حائزين لهذا المنهاج المجدي الذي استعان بها علماء القرون الحديثة بعد زمن طويل للوصول إلى أروع الاكتشافات" نفسه (ص ٤٣٥، ٤٣٦) .

(١) سورة الإسراء الآية: ٧٠.

(٢) تفسير الكشاف – ٢ج ص٦٨٠.

"إن الدين هو ما قامت به البشرية عندما لم تكن تعرف شيئا فلم نكن نعرف وقتها أننا نعيش على كوكب كروي.. لم نعرف أن الأرض تدور حول الشمس وقتها ...ولم نكن نعرف بوجود الكائنات المجهرية التي تسبب الأمراض (....) كما أنه في الواقع كان محاولتنا الأولى في الفلسفة والأخلاق وحتى أول محاولتنا في الحفاظ على الصحة! ولكن ولأنه كان أول محاولتنا فهو أسوأها.. الآن نحن نملك علما وفهما أفضل لكل هذه المجالات وقد كشفنا كل تلك الألغاز الغامضة.. (...) لقد تحوَّل الدين الآن من شيء كنا نعتمد عليه في بقائنا إلى عائق في وجه قدرتنا على البقاء والاستمرار كجنس بشري متحضر ورغم الحلول الذي قدمها الدين لنا فقد تحولت هذه الحلول بحد ذاتها إلى المشكلة الأساسية اليوم.. الحلول التي تعتمد على ما وراء الطبيعيات أكثر من الطبيعيات والتي هي أكثر جمالا "[١].

وهكذا يزعم الكاتب أن الدين يمثل مرحلة التخلُّف العلميّ في حياة البشرية وأنه كان محاولات بشرية لتفسير الكون، وأن البشريّة عرفت أسرار الكون عن طريق العلم؛ فلم يعد للدين مكان، بل صار وجوده عقبة قديمة في طريق العلم الحديث.

نظرة نقدية:

إن القول إن الدين كان وسيلة لتفهم أسرار الكون يعني اعتبار الدين مرحلة بدائية من مراحل العلم التجريبي ويلزم من ذلك أن يكون للدين الهدف نفسه الذي يرمي إليه العلم التجريبي من التعرف على المادة الكونية في مختلف صورها ومحاولة معرفة أسرارها وكشف عللها والتنبؤ بها وتطويعها لخدمة الحياة الإنسانية ومن ثم - بناء على ذلك- فإن العلم -وقد تقدَّم- تجاوز هذه المرحلة ولم يعد الإنسان في حاجة إليها.

وهذا ليس صحيحا على إطلاقه لأن مجال الدين هو الاعتقاد والقيم والمبادئ المتفرعة

---

(١) مجلة الملحدين العرب - العدد الثاني ص ٦٧.

عنها والتي تهدف إلى هداية الإنسان لمعرفة خالق الكون خالق الإنسان، وهدايته إلى المبادئ التشريعية والخُلُقية التي تقوم على أساس من إيمانه بالخالق ﷻ ومن هنا فإن الدين ليس هو المحاولات البدائية التي بذلها الإنسان لفهم ذاته وفهم الكون، ولكنه العقائد والتشريعات والقيم التي أنزلها الخالق ﷻ إلى رسله فدعوا الناس للإيمان بها وتطبيق مبادئها.

وهذا واضح من تعريف الدين ومن تعريف العلم المقصود عند هيتشنز (وهو العلم التجريبي) فالواضح من إدراك ماهية كلٍ هو أن الموضوعين مختلفان؛ حيث تدل التعريفات الفلسفية للدين على المجال العقدي والقيمي حيث "يطلق الدين عند فلاسفتنا القدماء على وضع إلهي يسوق ذوي العقول الى الخير"[(١)].

وفي الفلسفة الحديثة يطلق الدين على " جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جرّاء حبها للّه، وعبادتها إياه، وطاعتها لأوامره"[(٢)] وبعبارة أوضح فإن الدين يعني "علاقة بين طرفين يُعظِّم أحدهما الآخر ويخضع له، فإذا وُصف بها الطرفُ الأول كانت خضوعا وانقيادا، وإذا وُصف بها الطرف الثاني كانت أمرا وسلطانا، وحكما وإلزاما، وإذا نُظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستورَ المنظمَ لتلك العَلاقة أو المظهر الذي يعبر عنها"[(٣)].

هذا عن ميدان الدين وموضوعه أما العلم – بالموضوع الذي يشير إليه هيتشنز وهو تفسير الكون وفهمه فهو قسمان: "نظري يحاول تفسير الظواهر وبيان القوانين التي تحكمها كالطبيعة

---

(١) (جميل صليبا- ٥٧٢/١)

(٢) المعجم الفلسفي جميل صليبا- ٥٧٢/١)

(٣) الدين. بحوث ممهِّدة لدراسة تاريخ الأديان- د. محمد عبد الله دراز- ط دار القلم – دون تاريخ- (ص: ٣١).

والرياضة، وعملي يرمي إلى تطبيق القوانين النظرية على الوقائع والحالات الجزئية" [١]

ومن هنا فإن الدين قيم إلهية حاكمة تتوجه لصالح البشرية، أما العلم التجريبي فوسيلة بشرية خادمة تتحرك في ظلال هذه القيم، والإنسان منذ كان ذا دين، وهو كذلك من قبل أن يكتسب العلم التجريبي؛ ومن هنا فقد دأب الإنسان على اتخاذ العلم التجريبي وسيلة لنصرة دينه وقيمه بل إن العلم كلما تقدم فإن الإنسان يطوعه لنشر دينه يدل على ذلك " أن التقدم التقني خاصة في وسائل الاتصالات وتبادل المعلومات قد أدى إلى مزيد من التمسك بالثوابت الدينية لدى كل المتدينين وتمَّ ويتمُّ تطويع هذا التقدم التقني لخدمة الأديان والدعوة إليها، بل والطعن في الأديان الأخرى في محاولة لإثبات بطلانها"[٢].

وجهود أهل الأديان في نشر أديانهم والدفاع عنها باستخدام شبكة المعلومات من مختلف مِنصَّاتها أمر مشاهد لا يحتاج إلى استدلال، مما يؤكد أن العلم التجريبي وسيلة يوظفها الإنسان في خدمة دينه وقيمه، وليس وسيلة للهداية العقدية والإشباع الروحي الذي يحتاج له الإنسان. ومن هنا فإن العلم التجريبي مستمر في ظلال الدين وليس الدين مرحلة متخلفة من مراحل العلم التجريبي.

إن الإنسان لا ينفك من عقيدةٍ ومن مبدأ يقدسه ويروم نصرته، حتى لو كانت هذه العقيدة وضعية وضعها الإنسان من تلقاء نفسه فهو يحاول نصرتها بكافة الوسائل وأولها العلم حتى إنه

---

(١) المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ١٤٠٣– ١٩٨٢ (ص: ١٢٣، ١٢٤) .

(٢) كتاب الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر للمستشرق مونتجومري وات دراسة نقدية – رسالة دكتوراة – كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق – د. فؤاد وهبة عزام – ٢٠١٠م– (ص ٤١١) . وقد استشهد الكاتب بأقوال عديدة للمنصرين في مؤتمر كلورادو التنصيري ١٩٧٨م يؤكدون على أهمية استغلال البث الإذاعي والتليفزيوني في التنصير تراجع الرسالة المذكورة ص ٤١١– ٤١٥.

ليصبغ علمه بصبغتها وينسبها لنفسه " وإنك لتجد الأمر على هذا النحو -أي صيرورة العلم خادما للعقيدة- في أشد البيئات تمسحا بشعار العلم، ففي مقال نشرته البرافدا[١] في عام ١٩٤٩يقول رئيس أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي (س. أ. فاينلوف) تحت عنوان (لينين والمسائل الفلسفية الحديثة): إن الفيزياء السوفييتة (! !) تبني عملها على ما اعتنق العالم من المادية الديالكتيكية[٢] وليس العكس. وفي مقال آخر نشرته مجلة (ناتشر) في مايو ١٩٥٠ يقول أحد أعضاء الأكاديمية: (إننا أعلنا مرارا ولا نزال نعلن أن العلم هو علم حزبي طبقي) [٣] مما يعني أن العلم التجريبي وإن كان مشتركا إنسانيا عاما لا يتقيد بدين إلا أنه يوجه لخدمة العقائد الحزبية والأفكار الطبقية، فلم يزل العلم ولن يزال مصاقبا للدين في مسيره، وللمبادئِ في طريقها، ولم يكن أبدا مرحلة أولية متخلفة سقطت من قافلة العلم الإنساني.

إن محاولة فصل الدين عن العلم ما هي إلا محاولة نظرية يكذبها الواقع العملي والدليل

---

(١) البرافدا: كلمة روسية تعني الحقيقة وسميت بها صحيفة روسية كانت في الفترة السوفيتية من أكبر صحف العالم توزيعا وكانت ناطقة بلسان الحزب الشيوعي تم تأسيسها عام ١٩١٢ إلى أن أوقفها الرئيس بوريس يلتسن بعد سقوط الاتحاد الوفييتي عام ١٩٩١م ثم أصدرها بعض محرريها القدماء بالاسم نفسه ولكن بصيغة مختلفة وتعد اليوم صحيفة روسية شعبية الطراز والاهتمام. يراجع الموسوعة الحرة ويكيبيديا .https://cutt.us/qLqsw

(٢) المادية الديالكتيكية: هي النظرية العامة للحزب الماركسي اللينيني، وسميت بذلك لأن أسلوبها في النظر إلى حوادث الطبيعة أسلوب مادي، تعليلها لهذه الحوادث تعليل مادي وتوصرها لها تصور مادي . ينظر: المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية - ستالين - دار دمشق للطباعة والنشر - دون تاريخ - (ص١٧) . ولا تعني كلمة الديالكتيكية في هذا المصطلح الجدلية كما هو معنى الكلمة في الإنجليزية والفرنسية ولكن تعني نقيض الغيبي (الميتافيزيقي) يراجع السابق ص ٢٣.

(٣) الفكر المعاصر - د يحيى هاشم - (ص: ٥٣) .

على ذلك أن العلم لا يفيد البشرية إلا في ظل مجموعة من القيم الحاكمة والموجهة لمسيره وتسيير منجزاته، ومن هنا فقد تعالت صيحات الفلاسفة من شكوى جماح العلم في مجال التسليح دون قيم تكبح جماحه" يقول العالم الفيزيائي الشهير (لويس دي برولي)[١] على قدر ما تتزايد الوسائل التي أوجدها العلم والتقدم الصناعي تحت أيدينا للعمل وبالتالي للتدمير فإن الخراب الذي نستطيعه يصبح مداه أعظم اتساعا والجراح التي تتولد عن ذلك لا تشفى سريعًا)[٢] كما تعالت أصوات فلاسفة آخرين تحذر من الغفلة عن تنمية الروح والقيم في الوقت الذي تزداد فيه منجزات التقدم العلمي المادي "ولقد كان الفيلسوف الفرنسي المعاصر هنري برجسون على حق حينما قال: (يتطلب جسدنا المتوسع - بفعل التقدم العلمي الحديث- زيادة في الروح"[٣]. وهكذا يبدو واضحا أن للدين مجاله وأن للعلم مجاله وأن الإنسان يحتاج إلى الدين ليوجه به سير العلم ومن هنا فلا يصح اعتبار الدين مرحلة علمية أولية سقطت من تاريخ العلم ولم يعد الإنسان بحاجة إليها.

وبناء على أن العلاقة بين الدين والعلم باعتبار موضوع كل منهما هي علاقة بين عام هو الدين وخاص هو العلم، وعلاقة بين مبدأ هو الدين ووسيلة هي العلم؛ فإن العلم لا يمكن أن يكون عائقا في سبيل الدين بل إن العلم الصحيح يؤيد الدين الصحيح وإذا حدث خلاف بينهما

---

(١) لويس دي بروي عالم فيزيائي فرنسي ولد عام ١٨٩٢، تلميذ أنشتاين وصديقه، حصل على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٢٩م وتولى منصب سكرتير الأكاديمية الفرنسية للعلوم وتوفي عام ١٩٨٧م . ينظر: ويكيبيديا https://cutt.us/cxraG تاريخ المشاهدة ١٣ إبريل ٢٠٢٣م.

(٢) الفكر المعاصر - د. يحيى هاشم ص٥٥.

(٣) الفكر المعاصر – د. يحيى هاشم ص٥٥.

فهو في فهم العلم أو فهم الدين [١] يقول: "العالم الطبيعي والكاتب اللامع (أوليفرو وندل) في هذه المناسبة: "كلما تقدمت العلوم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف؛ فالفهم الحقيقي للعلوم يدعو إلى زيادة الإيمان بالله"[٢].

إن الدين ليس خطوة البدء المتعثرة في طريق العلم التجريبي حتى يقال إن العلم خلفها وراءه ظهريا، فالحق أن الدين فطرة تولد مع الإنسان، وإيمان يشبع جوعه الفطري، وقيم توجه مسار حياته نحو الأرشد الأقوم في كل دروب حياته.

السبب الخامس: أن الدين قد تأخر ظهوره آلاف السنين ولم يظهر إلا منذ ثلاثة آلاف سنة، وعندما نزل كان في أمة متخلفة في الشرق الأوسط ولم ينزل في أمة لديها علم وقدرة على التفكير كالصِّين ثم كانت وسائل لإصلاح الإنسان هي الذبائح البشرية والأمراض الفتاكة وهذا شيء لا يمكن قبوله. يقول:

"...فقط قبل ٣ إلى أربعةِ آلاف سنة تقريبا.. وفقط في بقعة أمية بربرية من بقاع الشرق الأوسط.. وليس في الصين مثلا حيث كان الناس هناك يقرأون ويكتبون ويستطيعون التفكير ولديهم منهج علمي متقدم نسبيا.. لا لا. بل في أكثر البقاع جهلا وأمية وبربرية في الشرق الأوسط قال لا يمكننا الاستمرار بهذا الشكل يجب أن أتدخل.! ! وطبعا ليس هناك وسيلة أفضل من الأضاحي البشرية وأمواج الطاعون والحروب والمجازر الجماعية لكي تجعل البشر تتصرف بأخلاقية.. إن استطاع أي شخص في هذه القاعة إرغام نفسه للقبول بأي شيء مشابه لهذا

---

(١) ينظر: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين – الشيخ محمد الغزالي– الطبعة الثانية – دار الوفاء– ١٤١٠هـ ١٩٨٩م– (ص: ١٩٣)

(٢) الله يتجلى في عصر العلم – نخبة من العلماء الأمريكين – حرره: جون كلوفر موتسما – ترجمة: د الدمرداش عبد المجيد سرحان – نشر مؤسسة الحلبي– دون تاريخ – (ص: ٥٢) .

والإيمان به فإنه يدين نفسه أولا بأنه في غاية في الغباء.. وثانيا غاية في اللاأخلاقية.." [١].

وتحتوى هذه الفقرة على النقاط الآتية:

أولًا: تأخر نزول الدين عن خلق البشرية.

ثانيًا: نزوله في أمة متخلفة وذلك يعيبه.

ثالثًا: تنافي حدوث الأمراض والأوبئة مع حكمة التقدير.

نظرة نقدية:

أولا: إن تاريخ نزول الدين ليس كما يعتقد من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف سنة، ولا يتصور أن يخلق الله تعالى الإنسان ثم يتركه دون تكليف وإرشاد، ولو صح ذلك لكان عبثا والله تعالى منزه عن العبث، قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾[٢].

إن الدين بدأ مع أصل البشر وهو آدم أبو البشر عليه السلام قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾[٣] كما أنه علَّم بنيه الإيمان بالله واليوم الآخر ومعنى الخير والشر والتقوى والذنب والندم على الذنب[٤] ثم تتابعت الرسالات على الجماعات البشرية

---

(١) مجلة الملحدين- العدد الثاني ص ٦٩.

(٢) سورة المؤمنون الآيتان ١١٥، ١١٦.

(٣) سورة البقرة الآية: ٣٧.

(٤) يدل على هذا ما ورد في القرآن الكريم من قصة ابني آدم قال تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾**

=

وكلما بعُد العهد ونُسيت معالم الرسالة جاءت الرسل لتذكرة الناسين وتجديد العهد بالله تعالى. أخرج الحاكم في المستدرك عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ: «كَانَ بَيْنَ آدَمَ، وَنُوحٍ عَشَرَةُ قُرُونٍ كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا بَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ وَأَنْزَلَ كِتَابَهُ فَكَانُوا أُمَّةً وَاحِدَةً»(١).

هذا ما جاءت به الكتب السماوية الأصل وتواترت به الأخبار والقول بنقيضه مرفوض لأنه عار عن الدليل بل القول به مجرد تخمين لا يستند إلى شاهد يشهد له، فأي دليل يعتمد عليه من يزعم أن البشر عاشوا آلاف السنين من دون وحي إلهي يتنزل عليهم يهديهم إلى مراد خالقهم منهم حتى بدأت الديانات المشهورة تظهر في الشرق؟ لا دليل على ذلك. يقول إميل بوترو (٢)

"وكان الدين إلى جانب ذلك حافلا بالأساطير والخرافات التي تثير الخيال وتهذب العقل، وتدعو إلى التأمل، ولكن ما مصدر هذه الخرافات؟ يعتقد بعض الباحثين أنها من غير شك وحي أسدل عليه ستار النسيان غير أنها كانت مختلطة، متقلبة متدنية، وفي أغلب الأحيان متناقضة صبيانية منكرة، وغير معقولة، بحيث لم يكن بد من أن يرى فيها صنعة الإنسان إلى جانب الوحي

= **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾** سورة المائدة الآيات من ٢٧ حتى ٣١.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ج٢ ص٤٨٠ حديث رقم ٣٦٥٤- نشر دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. قال الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري.

(٢) إميل بوترو: فيلسوف فرنسي ولد في يوليو عام ١٨٤٥م وكان واحدا من أبرز ممثلي معارضة التيار الوضعي، درس الفلسفة الحديثة والتاريخ في جامعة السوربون، وتوفي في باريس عام ١٩٢١م . ينظر: معجم الفلاسفة - جورج طرابيشي- ص ١٩٦.

الإلهي، ومن العبث أن ترد نشأة العقيدة الأولية والطارئة إلى الخرافات"[١].

فليست هناك أُمة من الأمم لم يرسل الله إليها رسولا؛ لأنه من غير المعقول أن يخلق الله الناس ويهملهم فيكون ذلك عبثا والعبث محال على الله ذي الكمال ﷻ قال تعالى ﴿ **وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[٢] وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[٣]، وقال تعالى ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾[٤]، وإنما ذكر من هذه الأمم في القرآن من كانوا أقرب جغرافيا إلى العرب ليحصل الاتعاظ بهم ويحصل الاعتبار بأحوالهم ولا يلزم من عدم الذكر في القرآن عدم الوجود لأن القرآن كتاب هداية وليس كتاب تاريخ هدفه سرد التفصيلات الجزئية لحياة الأمم.

جاء في التحرير والتنوير[٥] عند تفسير قوله تعالى ﴿**وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ**﴾:

"ومعنى الأمة هنا: الجِذْمُ[٦] العظيم من أهل نسب ينتهي إلى جَدٍّ واحد جامع لقبائل كثيرة لها مواطن متجاورة مثل أمة الفرس وأمة الروم وأمة الصين وأمة الهند وأمة اليونان وأمة إسرائيل وأمة العرب وأمة البربر فما من أمة من هؤلاء إلا وقد سبق فيها نذير، أي رسول أو نبِيء ينذرهم

---

(١) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة – إميل بوترو– ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني – مكتبة الأسرة ٢٠١٣– (ص: ١٠) .

(٢) سورة هود من الآية: ٧.

(٣) سورة النحل الآية: ٣٦.

(٤) سورة فاطر الآية: ٢٤.

(٥) التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور– نشر الدار التونسية – ١٩٨٤م – (ج٢٢ص ٢٩٧) .

(٦) الجِذمُ: أصل القوم . ينظر: كتاب العين – الخليل ابن أحمد الفراهيدي– باب الجيم والذال والمبم معهما – ج ٦ ص٩٧– نشر: دار ومكتبة الهلال – تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.

بالمهلكات وعذاب الآخرة. فمن المنذرين من علمناهم، ومنهم من أنذروا وانقرضوا ولم يبق خبرهم قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾[(١)].

والحكمة في الإنذار ألا يبقى الضلال رائجا وأن يتخوَّل الله عباده بالدعوة إلى الحق سواء عملوا بها أو لم يعلموا فإنها لا تخلو من أثر صالح فيهم. وإنما لم يسمِّ القرآن إلا الأنبياء والرسل الذين كانوا في الأمم السامية القاطنة في بلاد العرب وما جاورها لأن القرآن حين نزوله ابتدأ بخطاب العرب ولهم علم بهؤلاء الأقوام فقد علموا أخبارهم وشهدوا آثارهم فكان الاعتبار بهم أوقع، ولو ذُكرت لهم رسل أمم لا يعرفونهم لكان إخبارهم عنهم مجرد حكاية ولم يكن فيه استدلال واعتبار".

وبناء على ذلك فإن الأمم البعيدة عن بلاد العرب قد جاءها وحي من الله تعالى بقيت منه آثار تدل عليه، يدل على ذلك المشابهة القوية لما نزل في بلاد العرب من كتب على الأنبياء، فعند مقارنة صلوات إخناتون المصري بمزامير داود عليه السلام يلاحظ الشَّبه الشديدُ بينهما مما يدل على تأثر إخناتون بمزامير النبي داود عليه السلام[(٢)] كما تدل أوصاف الله تعالى في نصوص الفيدا الهندية على التأثر بوحي قديم[(٣)] وتدل النصوص التاويَّة[(٤)] الصينية في مسألة الإيمان وأوصاف الإله

---

(١) سورة غافر من الآية: ٧٨.

(٢) يراجع: الإنسان في ظل الأديان د عمارة نجيب – ص ١٦٨– ط ١٤٠٠ هـ/ ١٩٧٩م.

(٣) الإنسان في ظل الأديان ١٨٦–١٨٨.

(٤) التاوية: (الطاوية) إحدى أكبر الديانات، الصينية القديمة التي ما تزال حية إلى اليوم إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، تقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفاً سلبياً من الحضارة والمدنية. يراجع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب =

على التأثر بوحي قديم كذلك[١] وما من تعليل للتشابه القوي - وإن لم يكن من جميع الوجوه- بين الوحي الإلهي وهذه النِّحَل مع تباينها زمانا ومكانا في أمر الاعتقاد في الله تعالى إلا وحدة المصدر.

ثانيًا: إذا كان يرى أنه قد كان من الأوفق أن تنزل الرسالة في الصين حيث كان الناس يقرأون ويكتبون وألاَّ تكون الرسالات في الشرق الأوسط حيث الأمم المتخلفة، فمع غض النظر عن البحث في الحال الثقافية والتعليمية لسكان الصين وقت نزول الرسالات السماوية الأصل- بغض النظر عن ذلك فمن حق السائل أن يردَّ: ولماذا لا تكون الرسالات حيثُ الأممُ المتخلفة لأنها أحوج إلى هذه الرسالات ليترقى شأنها في الدين والعلم؟ كما أنه بهذا الرأي يجعل العلم معيارا لاستحقاق الرسالة وهو ليس كذلك إنما جعلت الرسالات لهداية البشرية إلى طريق خالقها ما دامت جاهلة به، سواء أكانت الجماعة البشرية متقدمة في ميدان العلم أم متخلفة فيه، فكم تقدمت أمم في العلم التجريبي حتى أمدها بأسباب القوة فانحطت في ميادين العدالة

=

الإسلامي- إشراف: د. مانع بن حماد الجهني - نشر: دار الندوة العالمية- الطبعة الرابعة -١٤٢٠هـ - (ج٢ ص٣٧٥)

(١) يراجع التاو تي تشينغ إنجيل الحكمة التاوية في الصين - ترجمة وشرح وتعليق: فراس السواح - ص٦٠ وفيها: " هناك شيء بلا شكل موجود قبل السماء والأرض، صامت وفارغ، قائم بنفسه لا يحول، يتخلل المكان ولا ينفد، إنها بمثابة الأم لهذا العالم، لا أعرف له اسما فأدعوه التاو، لا اعرف له وصفا فأقول العظيم، عظمته امتداد في المكان، الامتداد في المكان يعني امتدادا بلا نهاية، الامتداد بلا نهاية يعني العودة إلى نقطة المبتدى، لأن التاو عظيم السماء عظيمة، لأن السماء عظيمة الأرض عظيمة، أربعة ينتسبون إلى العظمة، الإنسان يقتدي بالأرض، الأرض تقتدي بالسماء، السماء تقتدي بالتاو، التاو يقتدي بذاته". وهذا يدل على صورة مشوشة لوحي قديم حيث يحتوي على صفات الله تعالى التي تشترك فيها الأديان من أزليته تعالى وعظمته وكونه الخالق لكل شيء القائم بذاته.

والأخلاق والإنسانية وهيتشنز نفسه دعم أمريكا في حربها الظالمة على العراق[١].

ثالثًا: وهو يشير إلى أن الإله لو كان موجودا فإنه لم يكن ليسمح بحدوث الكوارث الطبيعية التي تؤذي البشر وتقضي على بعضهم مثل الطاعون والحروب والمجازر الجماعية والأضاحي البشرية هادفا من ذلك إلى تهذيب أخلاق البشر، وهو هنا يشير إلى مشكلة الشر الموجودة في العالم وينطلق من فرض مؤدَّاه أن الإله خيِّرٌ وكامل ومن كان كذلك فما يصدر عنه يكون بالضرورة خيِّرا وكاملا وما دام في العالم شرٌّ كثير وآلام وأمراض وأوبئة وحروب فإن ذلك الإله لا يمكن أن يكون موجودًا.

وهو بذلك قد أقام حجته على أن الكمال لا يصدر عنه معنى سلبي يؤذي الشعور الإنساني وهذا غير صحيح فالاختبار والعقاب لا يعني النقص في المُعلِّم، والتهذيب بأنواع الابتلاءات لا يعني قسوته على المبتَلى، وإنزال العقوبة بالمنحرف ليعتبر به غيره لا يناقض الكمال الإلهي، وإلا كان ذلك عيبا يطَّرد في كل مُعلم يثيب ويعاقب، وكل مُربٍّ يختبر ويقوِّم ويهذب، وكل معاقِب يريد حفظ النظام وتثبيت قواعده، ولمَّا كان الواقع شاهدا بحصول ذلك وضرورة وجوده كان تقدير الابتلاء حكمة وكمالا يناسب المقام الإلهي.

يضاف إلى هذا أن (هيتشنز) يتصور في مخيلته وجودا خاليا من النقائص والآلام كاملا كمالا مطلقا لا يمتاز فيه شيء عن شيء ولا معنى على معنى فلا فرق بين أمن خوف، ولا صحة ومرض، ولا سعادة وحزن، ولا تفوق ولا إخفاق وهذا مما لا يثبت في عقل سليم، ومنشأ الخطأ هنا في التصور الشخصي الذي يبني عليه تصوره أن وجود الشر نقيصة، والحق أن وجوده فضيلة أدت إلى معرفة الخير وتصوره فالشر" لا يناقض الخير في جوهره ولكنه جزء متمم له، أو شرطٌ لازمٌ لتحقيقه: فلا معنى للشَّجاعة بغير الخطر، ولا معنى للكرم بغير الحاجةِ، ولا معنى للصبر

---

(١) يراجع ويكيبديا https: //cutt.us/Bb٢JR تاريخ المشاهدة ١١-٤- ٢٠٢٣م.

بغير الشدة، ولا معنى لفضيلةٍ من الفضائل بغير نقيصةٍ تقابلها وترجُحُ عليها. وكما يطَّرد هذا القول في لـذَّاتنا المحسوسة: يطَّرد في فضائلنا النفسية، ومطالبِنا العقليَّة؛ إذ نحن لا نعرف لـذَّة الشبع بغير ألم الجوع، ولا نستمتع بالرِّيِّ ما لم نشعر قبله بلهفة الظمأ، ولا يطيب لنا منظرٌ جميل ما لم يكن من طبيعتنا أن يسوءَنا منظر قبيح"[١].

ومعنى هذا أن تصوَّر كون يسير على نسق واحد خال من المتناقضات سيؤدي إلى أن يفقد العقل الإنساني كافة المعاني الفطرية العقلية، فلن يعرف معنى الحياة لكونه لا يعرف معنى الموت ولا العافية حيث لم يعرف المرض، ولا النجاح حيث لا يعرف الإخفاق، ولا الربح حيث لا يعرف الخسارة، ولا القوة حيث لا يعرف الضعف، ولا الأمان حيث لا يعرف الخوف، ولا العلم حيث لا يعرف الجهل، فإذا كان العقل في ضرورة مُلحَّة لتمييز المتناقضات فإن مشكلة الذين يرفضون المعاني السلبيَّة ويوظِّفونها في الدعوة للإلحاد وإنكار وجود الله تعالى- مشكلتهم في الحقيقية هي " مشكلةُ الهوى الإنسانيِّ الذي يرفُض الألم ويتمنّى أن يكون شعوره بالسرور غالبا على طبائع الأمور"[٢] أما الحكمة الإلهية في خلق المعاني السلبية بالنسبة للشعور الإنساني فهي اختبار الإنسان قال تعالى: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[٣]، وقال تعالى ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[٤].

---

(١) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه- عباس محمود العقاد- الطبعة السابعة - ٢٠٠٨ - بتصرف يسير- نهضة مصر- (ص: ٧، ٨).

(٢) حقائق الإسلام ص: ٩.

(٣) سورة الملك الآية: ٢.

(٤) سورة الأنبياء الآية: ٣٥.

* والخلاصة:

١. الإيمان بالعلم المحيط بكل شيء لله تعالى لازم من لوازم الإيمان بالله الأول الآخر الذي ليس مثله شيء.

٢. عجز الإنسان عن تحديد المصدر المولد لأفكاره ومشاعره دليل على وجود الله تعالى وكمال علمه وقدمه، ونقص العلم الإنساني وحدوثه بعد الجهل.

٣. اعتقاد مراقبة الله تعالى الدائمة للإنسان لا تسبب قلقا للإنسان ولا تنفره من عقيدته، فالإنسان نفسه يجري هذا النوع من المراقبة على نطاقات واسعة باستعمال شبكات من كاميرات المراقبة، ومع هذا لم يشك الإنسان السوي من هذا النظام، بل يعتقد الأسوياء أنه أمان لهم من المنحرفين ووسيلة لإثبات الحقوق.

٤. إذا ترك الإنسان دينه بحجة تحكم الدين في طريقة الحياة فإنه سيخرج من تحكم الدين في حياته إلى تحكم المجتمع بعقائده وقانونه ونظامه وتقاليده وأعرافه ونظم التربية فيه، ولم ينل ما يظنه حرية مطلقة في سلوكه في الحياة، والأفضل له أن يؤمن بالله فينال سكينة الإيمان وهدى الله في تشريعه.

٥. الدين وسيلة هداية للإنسان، ولم يكن أبدا وسيلة تجريبية لاكتشاف أسرار الإنسان والكون؛ ومن لا يصح اعتبار الدين مرحلة في تاريخ العلم تجاوزها الزمن.

٦. خلق الله الإنسان وعلمه دينه وشريعته وتوارثت الأجيال الإنسانية دينها، ولم تزل رسل الله حتى خاتمهم سيدنا محمد (ﷺ) تذكر الناس بدينهم كلما انحرفوا عنه، ولم يترك الله تعالى أمة عاقلة دون إرسال الرسل.

٧. اعتراض الإنسان على وجود الآلام والشرور في العالم اعتراض يبعثه الهوى لا العقل، لأن الأشياء تعرف بأضدادها، وهذا مناسب للحياة الإنسانية التي هي موضع اختبار للإنسان يترتب عليه مصيره في الحياة الآخرة. والذين يتصورون الحياة نعيما لا يخالطه حزن ولا ألم إنما يتحدثون عن الجنة وليس الدنيا.

الخاتمة

أولاً: نتائج البحث:

١. التربية الدينة تبني الشخصية الإنسانية المتزنة التي تتعامل مع الواقع بما يناسبه، فهي تميل إلى المسالمة ابتداء، وترد العدوان الواقع عليها إذا تطلَّب الأمر، أما التطرف والميل إلى العدوان والكراهية فأمراض تربوية لا تمثل الجميع، بل إنها حالات شاذة لا حكم لها على المجموع.

٢. يتمتع المؤمن في ظل عقيدته بسكينة الإيمان والرضا النفسي والرضا المعرفي حيث يعلم مبدأه ومهمَّته ومصيره، ولذلك فهو أبعد ما يكون عن الحيرة والشك والعذاب النفسي الذي يعانيه الملحدون ويصرحون به.

٣. الدين يثبتُ صحَّته عن طريق البرهان العقلي والتأسيس المنطقي لمقولاته، ويشبع القلب والشعور في الوقت ذاته استجابة لنداء الفطرة الإنسانية في بحثها عن العقيدة، ولذلك فليس صحيحا أن الدين شعور عاطفي يحاول المؤمن إقناع نفسه به عن طريق التكييف المنطقي الأعوج.

٤. لم يستطع الإلحاد حتى الآن أن يثبت صحة مقولاته إثباتا منطقيا وإنما هو مجرد وهم يلجأ إليه الخائفون من موقفهم ين يدي الله تعالى، والرافضون للخضوع لخالقهم والرافضون للتقيد بأحكام شريعته.

٥. تتشابه قضايا العلم مع العقيدة الدينية في كونها تقوم أساسا على قناعات نفسية تتم البرهنة عليها بعد ذلك، والدين كذلك فطرة فطر الله تعالى خلقه عليها ثم تبرهن عليه رسالات المرسلين وما نزل إليهم من ربهم.

٦. تلقين العقائد للناشئة أمر طبيعي في كل المذاهب الدينية والفكرية، وذلك لعجز الناشئ عن التفكير في القضايا الوجودية والمصيرية، ومن ثم لا يعاب الإسلام بهذا، والذي يميز الإسلام كدين أنه يحاور العقل ويدعو المؤمن إلى التفكر في دلائل الإيمان المبثوثة في خلق الإنسان والكون، ويدعوه إلى التخلص من معوقات التفكير السليم.

٧. التجاهل والنفي أسلوب معروف من أساليب الملحدين عندما تعجزهم الحيلة في التدليل على مزاعمهم شأنهم في ذلك شأن المستشرقين المتعصبين.

٨. وجود الإلحاد وانتشاره في بقاع من العالم لا يعني صحته، وكذلك وجود العقائد الدينية وانتشارها في بقاع جغرافية مختلفة، وإنما معيار الصواب والخطأ هو الأدلة والبراهين التي تقدمها العقيدة أو النحلة بين يديها ووزنها في ميزان المنطق الصحيح.

٩. وراثة العقائد من الأسلاف أمر عام في كل اعتقاد شائع أو فكرة رائجة في مجتمع ما، ولهذا من خطأ الملحدين تخصيص الإيمان بالتشنيع عليه في هذه القضية، وتبقى الكلمة الأخيرة لقيمة هذه العقائد في ميزان المنطق وميزان الفطرة الإنسانية وميزان الأسس البرهانية التي تقوم عليها هذه الموروثات.

١٠. عِلْم الله تعالى بكل أحوال عباده لا يعني تضييق الخناق عليهم ومحاصرتهم بالمراقبة الإلهية كما يزعم بعض الملحدين، ولكنه يضمن لهم الأمان من اعتداء غيرهم من جهة ويخبرهم بسعة رحمته ويفتح باب التوبة للعودة وتصحيح مسار سلوكهم من جهة أخرى.

١١. شمول الإسلام لكل جوانب الحياة الفردية والاجتماعية لا يعيبه؛ إذ البديل عن ذلك هو قبول التشريع الإنساني الخالص والخضوع له في جوانب الحياة الفردية والاجتماعية أيضا بما يعتريه من قصور إنساني وتضارب واضح بين الفلسفات المختلفة، فالذين يرفضون التشريع الإلهي الشامل مشكلتهم نفسية فقط.

١٢. الاعتقاد بالمصدر الإلهي للقيم قضية بدهية نظرا لتوافق البشر – مع اختلافهم- على قيم محددة تحكم سير حياتهم، والمصدرية الإلهية للقيم لا تستلزم العجز الإنساني عن تقرير الصواب والخطأ وإلا للزم من عمل القانونيين والمشرعين اتهام الشعوب بالجهل والعجز عن معرفة الصواب والخطأ.

١٣. الدين قيم إلهية حاكمة تتوجه لصالح البشرية، أما العلم التجريبي فوسيلة بشرية خادمة

تتحرك في ظلال هذه القيم، ولذلك لا معنى للقول باستغناء البشرية عن دينها مع تقدمها في العلم التجريبي.

١٤. بدأ الدين مع أول إنسان خلقه الله تعالى - وهو آدم عليه السلام- ولم يزل الدين يسير مع الجماعات البشرية قوة وضعفا ولم تزل الأنبياء والرسل يجددون للناس ما يندرس من أمور دينهم حتى كانت الرسالة الخاتمة على خاتم المرسلين محمد ﷺ.

١٥. توظيف وجود الشرور والآلام في العالم في نفي وجود الله تعالى وللطعن في الحكمة الإلهية إنما هي مشكلة ترجع إلى الشعور العاطفي والهوى الإنساني؛ حيث إن تصور وجود كون يخلو من المتناقضات يعني أن يفقد العقل الإنساني كافة المعاني الفطرية العقلية، وأن يفقد مجال التمييز بين الأشياء وبذلك يفقد أخص ما خلق له.

ثانيًا: التوصيات:

١. أن تتكاتف جهود الباحثين الدعاة في تنفيذ برنامج واضح المعالم لتفنيد شبهات الملحدين في هذه المجلة.

٢. إعداد بحوث تعالج القضايا المتكررة في شبهات الملحدين مثل الربط بين الإلحاد والتفكير العلمي، والربط بين الإيمان والتقليد الأعمى الموروث.

٣. تخصيص مجلة إلكترونية مضادة تهاجم الإلحاد وتنقض أصوله الفكرية وتظهر ضعفه وتهافته.

٤. إعداد بحوث تبين جهود العلماء المسلمين في نقض الإلحاد وتبرز مناهجهم في الرد عليه.

٥. تنفيذ برنامج دعوي يرتكز على تثبيت معاني الإيمان بالحجج والبراهين تتبناه المؤسسات الدعوية لتحصين المجتمع من الإلحاد لا سيما قطاع الشباب.

مراجع البحث

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن – السيوطي– ط مجمع الملك فهد –تحقيق مركز الدراسات القرآنية– دون تاريخ –

٢. أحسن الكلام فيما يقال في السنة والبدعة من الأحكام – الشيخ محمد بخيت المطيعي – مراجعة وتحقيق: د. عطية مصطفى – الطبعة الثانية – نشر: كشيدة – ١٤٤٢هـ ٢٠٢١م .

٣. أدب الدنيا والدين – أبو الحسن البصري الماوردي – ط مكتبة الايمان – تحقيق طه – عبد الرؤوف سعد– دون تاريخ.

٤. الإلحاد أسبابه طبائعه مفاسده أسباب ظهوره علاجه – الشيخ محمد الخضر حسين – مكتبة ابن تيمية الكويت ١٤٠٦.

٥. الإلحاد في مواجهة نفسه – سامي عامري– طبعة رواسخ– ٢٠٢١م.

٦. الإلحاد مشكلة نفسية – د عمرو شريف– الطبعة الأولى– ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م – نشر: نيو لوك– القاهرة.

٧. الإنسان في ظل الأديان د عمارة نجيب – ط ١٤٠٠هـ ١٩٧٩م.

٨. البداية والنهاية – ابن كثير– نشر دار الفكر– ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

٩. التاو تي تشينغ إنجيل الحكمة التاوية في الصين – لاو تسو – ترجمة وشرح وتعليق: فراس السواح– دار علاء الدين – الطبعة الأولى– ١٩٩٨م.

١٠. التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور– نشر الدار التونسية – ١٩٨٤م .

١١. تحفة المريد على جوهرة التوحيد – شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري– طبعة ١٩٩٣م طبعة خاصة بالمعاهد الأزهرية.

١٢. جاذبية الإسلام الروحية لماذا أسلم هؤلاء– د أحمد عبد الرحمن – مكتبة وهبة–

الأولى: ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م

١٣. حضارة العرب – غوستاف لوبون – ترجمة عادل زعيتر– مكتبة الأسرة – ٢٠٠٠م.

١٤. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه– عباس محمود العقاد– الطبعة السابعة – ٢٠٠٨

١٥. خرافة الإلحاد – د عمرو شريف – الطبعة الأولى – ١٤٣٥هـ ٢٠١٤م – مكتبة الشروق الدولية.

١٦. دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين – الشيخ محمد الغزالي– الطبعة الثانية – دار الوفاء– ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.

١٧. الدين – د محمد عبد الله دراز – طبعة دار القلم – دون تاريخ

١٨. رجال ونساء أسلموا – د: عرفات كامل العشي – ط المكتب المصري الحديث ١٤٠٢هـ ٢٠٠١م.

١٩. الرد على الملحدين العرب – د هيثم طلعت – دار الكاتب – الطبعة الأولى – ٢٠١٤.

٢٠. الرد على الملحدين العرب – د هيثم طلعت – دار الكاتب – الطبعة الأولى – ٢٠١٤م.

٢١. ركائز الإيمان بين العقل والقلب – الشيخ محمد الغزالي – نشر: دار الشروق– مكتبة الأسرة – ٢٠٠١م.

٢٢. روح التربية – جوستاف لوبون – ترجمة طه حسين – مؤسسة هنداوي– دون تاريخ.

٢٣. سنن أبي داود أبو داود السجستاني –دار الكتاب العربي – بيروت – دون تاريخ.

٢٤. سؤال الأخلاق – د. طه عبد الرحمن– المركز الثاقفي العربي بالدار البيضاء– الطبعة الأولى: ٢٠٠٠م.

٢٥. شرح العقائد النسفية – سعد الدين التفتازاني– مكتبة المدينة – كراتشي باكستان – الطبعة الثانية– ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.

٢٦. صفحات علم النفس والدين – مايكل نيلسون – الرابط https: //cutt.us/KyRr[١]

٢٧. الطريق إلى التراث الإسلامي مقدمات معرفية ومداخل منهجية – د علي جمعة – الطبعة الرابعة – نهضة مصر – ٢٠٠٩م.

٢٨. العلم والدين في الفلسفة المعاصرة – إميل بوترو – ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني – مكتبة الأسرة ٢٠١٣.

٢٩. غاية المرام في علم الكلام – أبو الحسن الآمدي – تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف – طبعة لمجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – دون تاريخ

٣٠. فتح الباري في شرح صحيح البخاري – ابن حجر العسقلاني – دار مصر للطباعة – الطبعة الألى – ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٣١. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية – د. يحيى هاشم حسن فرغل – طبعة دار الآفاق العربية بالقاهرة.

٣٢. فلسفة العلم في القرن العشرين – دونالد جيليز – ترجمة: د: حسين علي – ط مكتبة الأسرة ٢٠١٠.

٣٣. في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم – د. يحيى هاشم حسن فرغل – ط مجمع البحوث الإسلامية – سلسلة البحوث الإسلامية – (٥١/٩) ١٤٤١هـ ٢٠٢٠م.

٣٤. قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن – الشيخ نديم الجسر – هدية مجلة الأزهر – رمضان ١٤٤٣هـ إبريل ٢٠٢٢م

٣٥. قصة الحضارة – ول ديورانت – طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة – ٢٠٠١م.

٣٦. قصة الفلسفة اليونانية – د. زكي نجيب محمود، ود. أحمد أمين – نشر مؤسسة هنداوي – ٢٠١٨.

٣٧. قواعد العقائد – أبو حامد الغزالي – نشر عالم الكتب – الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م

- تحقيق: موسى محمد علي.

٣٨. كتاب الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر للمستشرق مونتجومري وات دراسة نقدية - رسالة دكتوراة - كلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق - د. فؤاد وهبة عزام - ٢٠١٠م.

٣٩. كتاب العين - الخليل بن أحمد الفراهيدي- نشر: دار ومكتبة الهلال - تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي.

٤٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري - ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت-تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٤١. لسان العرب - ابن منظور - ط دار صادر- بيروت - الطبعة الثالثة- ١٤١٤هـ .

٤٢. لماذا أسلمنا مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناقهم للإسلام - نشر مكتبة الحرمين - دون تاريخ - ترجمة مصطفى جبر.

٤٣. الله يتجلى في عصر العلم - نخبة من العلماء الأمريكين - حرره: جون كلوفر موتسما - ترجمة: د الدمرداش عبد المجيد سرحان - نشر مؤسسة الحلبي- دون تاريخ.

٤٤. مجلة الملحدين العرب - الموقع الإلكتروني https: //cutt.us/UGMg[٨]

٤٥. المستدرك على الصحيحين - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري- نشر دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠- تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا..

٤٦. المستشرقون - نجيب العقيقي - ط دار المعارف - ١٩٦٤ م.

٤٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني - تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون - مؤسسة الرسالة -١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٨. مشاهير أسلموا - د عبد الله البلتاجي - نشر: دار القمة، ودار الإيمان بالإسكندرية - دون تاريخ.

٤٩. معجم الفلاسفة – جورج طرابيشي– الطبعة الثالثة – دار الطليعة – بيروت– دون تاريخ.

٥٠. المعجم الفلسفي – جميل صليبا –الشركة العالمية للكتاب – بيروت–١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤م.

٥١. المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م .

٥٢. معجم اللغة العربية المعاصرة – د. أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون– نشر: عالم الكتب– الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م–

٥٣. المعجم الوجيز – مجمع اللغة العربية بالقاهرة– ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٥٤. معجم مقاييس اللغة – ابن فارس ت ٣٩٥هـ ت– تحقيق: عبد السلام محمد هارون – دار الفكر– ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٥٥. مفاهيم الرقمنة ودورها في تعظيم الأداء المؤسسي لمنظمات القرن ٢١– د. أحمد مصطفى ناصف– نشر جمعية إدارة الأعمال العربية– العدد ١٧٥.

٥٦. مقومات الإسلام – د. أحمد الطيب (شيخ الأزهر) – هدية مجلة الأزهر عدد شوال ١٤٤٢هـ يونية ٢٠٢١م.

٥٧. منبعا الأخلاق والدين – هنري برجسون – تعريب: سامي الدروبي و عبدالله عبد الدائم – مكتبة الأسرة ٢٠١٠م.

٥٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي– إشراف: د. مانع بن حماد الجهني – نشر: دار الندوة العالمية– الطبعة الرابعة – ١٤٢٠هـ

٥٩. موسوعة مشاهير العالم – مجموعة من المؤلفين – الطبعة الأولى – دار الصداقة العربية – بيروت – ٢٠٠٢م.

٦٠. موقع هيئة الإذاعة البريطانية bbc https: //cutt.us/TS UL٩

٦١. نظريات الشخصية – ك هول، ح ليندزي – ترجمة فرج أحمد فرج وزميليه ص١٠٨، ١٠٩ الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.

٦٢. نفسية الإلحاد – بول فيتز – ترجمة مركز دلائل – الطبعة الثانية – ٢٠١٣م.

٦٣. النقد الأدبي– د. أحمد أمين– مؤسسة هنداوي– ٢٠١٢م.

٦٤. النهاية في غريب الحديث والأثر – ابن الأثير– نشر المكتبة العلمية – بيروت– تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، و محمود محمد الطناحي – ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م

٦٥. هناك إله كيف غير أشهر ملحد رأيه؟ –ترجمة د صلاح الفضلي– الكويت – الطبعة الأولى –١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

٦٦. ويكبيديا. الموقع الإلكتروني https: //cutt.us/tjM٧٠

فهرس الموضوعات

ملخص البحث باللغة العربية ٩١٠

ملخص البحث باللغة الإنجليزية ٩١٢

مقدمة ٩١٤

تمهيد..... ٩١٥

أولاً: تحرير مفردات العنوان..... ٩١٥

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:..... ٩١٨

ثالثًا: أهمية الـموضوع: ٩١٨

رابعًا: الدراسات السابقة:..... ٩١٩

موقع هذا البحث من الدراسات السابقة:..... ٩٢٠

خامسًا: حدود البحث: ٩٢٠

سادسًا: مناهج البحث، والطريقة المتبعة في كتابته..... ٩٢١

خطة البحث:..... ٩٢٢

الـمبحث الأول: دعوى خطورة الدين على بناء الشخصية .. عرض ونقد..... ٩٢٤

أولاً: الدين يربي شخصية عدوانية. ٩٢٤

نظرة نقدية:..... ٩٢٧

ثانيًا: دعوى أن التربية الدينية تكون نفسية قلقة. ٩٣٣

نظرة نقدية:..... ٩٣٤

الخلاصة:..... ٩٤١

الـمبحث الثاني: مبررات استمرار تقديس العقل للدين .. عرض ونقد ٩٤٣

نظرة نقدية:..... ٩٤٥

المبحث الثالث: دعوى قيام الدين على التلقين والوراثة .. عرض ونقد ٩٥٣
نظرة نقدية: ٩٥٤
الإلحاد والمنطق: ٩٥٦
نظرة نقدية: ٩٥٨
استدلال الكاتب بتنوع الملحدين على صحة الإلحاد: ٩٦٠
نظرة نقدية: ٩٦١
المبحث الرابع: أسباب إنكار الدين .. عرض ونقد ٩٦٥
نظرة نقدية: ٩٦٦
أولاً: إمكان تصور علم الله المحيط بكل شيء. ٩٦٦
ثانيًا: احتياج الإنسان للمراقبة الدائمة. ٩٧٠
نظرة نقدية: ٩٧٥
نظرة نقدية: ٩٧٩
نظرة نقدية: ٩٨٦
نظرة نقدية: ٩٩٢
الخاتمة ١٠٠٠
أولاً: نتائج البحث: ١٠٠٠
ثانيًا: التوصيات: ١٠٠٢
مراجع البحث ١٠٠٣
فهرس الموضوعات ١٠٠٩